آفات اللسان

إعداد

عباس علي عبيد

مكتبة الإيمان

المنصورة – أمام جامعة الأزهر

ت: ٠٥٠ / ٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله ، وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله ، وعلمه البيان فقدمه به وفضله ، وأمده بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله ، فاللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه العجيبة ، فإنه صغير حجمه ، عظيم طاعته وجُرْمُه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والعصيان ، ثم إنه ما من موجود أو معدوم ، متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم ، إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفى فإن كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان إما بحق ، أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له ، ولا يخرج إلى الوجود إلا بواسطة تعبير اللسان ، وهذه خاصية خصه الله بها لا توجد في سائر الأعضاء ، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والأذن لا تصل إلى غير الأصوات ، واليد لا تصل إلى غير الأجسام وكذا سائر الأعضاء ، أما اللسان فميدانه رحب ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد .

فمن أطلق لسانه وتركه سائباً كالدابة التي أرخى لها عنانها وتذهب

وتروح أينما شاءت ، سلك به الشيطان في كل ميدان ، وساقه إلي شاف جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ، فما أحرى بالمسلم أن يصون لسانه عما فيه **هلكته** ويأى بنفسه عن موارد حتفه ، حتى وإن لزمه الأمر إلى حبسه وطول سجنه .

ونحن بعون الله سوف نذكر فضل الصمت ، ثم نفصل آفات اللسان وكيفية الاحتراز منها .

وأسأل الله **العظيم** أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به ، وأن ينفع به من قرأه أو أخذ به وعمل بما فيه إنه تعالى سميع الدعاء ، مجيب الرجاء ، وهو على كل شيء قدير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين .

* * *

خطر اللسان وفضيلة الصمت

ـ قال تعالى : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [1] ﴾ [2] .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [3] .

ـ اعلم أنه ينبغي لكل مكلف : أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه ، لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه ، بل هذا كثير أو غالب في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " [4] .

---

[1] رقيب : أي ملك يرقبه . (عتيد) : أي حاضر .

[2] سورة ق : آية : ١٨ .

[3] سورة الانفطار : آية : ١٠ : ١١ .

[4] رواه البخاري ومسلم .

ـ **فهذا الحديث** : نص صريح في أنـــه لا ينبغي أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً ، وهو الذي ظهرت له مصلحته ، ومتى شك فـــي ظهور المصلحة فلا يتكلم .

ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : " أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ " (١) .

ـ وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْـدِ اللَّـهِ الثَّقَفِـيِّ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ قَـالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَـا تَخَافُ عَلَـيَّ ؟ فَأَخَـذَ بِلِسَـانِ نَفْسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : " هَذَا " (٢) .

ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْـتُ : يَـا رَسُـولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : " ثَكِلَتْكَ أُمُّـكَ يَـا مُعَـاذُ وَهَلْ يَكُبُّ (٣) النَّاسَ فِـي النَّـارِ عَلَـى وُجُـوهِهِمْ ، إِلاَّ حَصَـائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ " (٤) .

ـ **والمراد بحصائد الألسنة** : جزاء الكـلام المحرم وعقوباته ، فإن

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) أي : يقلبهم في النار .

(٤) رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات ، والسيئات ، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع ، فمن زرع خيراً من قول أو عمل : حصد الكرامة والخير ، ومن زرع شراً من قول أو عمل : حصد الندامة والشر وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم .

ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ : الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ [1] ؟ قَالَ : " مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " [2] .

ـ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ [3] وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ " [4] .

ـ أي : من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه والصمت عَما لا يعنيه ، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال ، وكفه عن الحرام أضمن له الجنة .

---

[1] أي : أكثرهم ثواباً وأعلى مقاماً .

[2] رواه مسلم .

[3] هو اللسان . و (اللحيان) : العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان ـ الفكين .
(وما بين رجليه) : أي الفرج .

[4] رواه البخاري .

ـ وعن **عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال** : ما من شـــيء أحـــق بالسجن من **اللسان** .

ـ وعن **الحسن البصري رضي الله عنه قال** : إن لسان الحكيم من وراء قلبه فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه ، فإن كان له قال ، وإن كـــان عليه أمسك .

وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه ، لا يرجع إلى قلبـــه مـــا أتـــى على لسانه تكلم .

ـ **وروي عن الربيع بن خيثم** : أنه **كان** إذا أصـــبح وضـــع قرطاســـاً وقلماً ، ولا يتكلم بشيء إلا كتبه وحفظه ، ثم يحاسب نفســـه عنـــد المساء .

ـ **وقال مالك بن دينار** : لو كانت الصحف مـــن عنـــدنا ، لأقللنـــا الكلام .

ـ **وقيل لبكر بن عبد الله المزني** : إنك تطيل الصمت ؟ فقـــال : إن لساني سبع ، إن تركته أكلني .

ـ **وقال محمد بن عبد الوهاب** : الصمت يجمع للرجـــل خصـــلتين السلامة في دينه ، والفهم عن صاحبه .

ـ **ويقال** : الصمت زين للعالم ، وستر للجاهل .

ـ **وقال محمد بن النضر الحارثي** : كثرة الكلام تذهب بالوقار .

ـ **وقال ابن عمر رضي الله عنهما** : دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك ، واخزن لسانك كما تخزن درهمك .

ـ **وقال محمد بن واسع** : لمالك بن دينار يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس ، من حفظ الدرهم والدينار .

ـ **وقال الفضيل بن عياض** : ما حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان .

ـ **وذكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه** : يا بنى من يصحب صاحب السوء لم يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

ـ **وقيل لعيسى عليه السلام** : دُلنا على عمل ندخل به الجنة ؟ قال : لا تنطقوا أبداً ، قالوا : لا نستطيع ذلك ، فقال : فلا تنطقوا إلا بخير .

ـ **وقال سليمان عليه السلام** : إن كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب .

ـ **قال ابن المبارك** : معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة فالسكوت عن معاصي الله من ذهب .

ـ **وقال بعض الحكماء** : في الصمت سبعة آلاف خير ، وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها ألف .

ـ **أولها** : أن الصمت عبادة من غير عناء .

ـ **والثاني** : زينة من غير حلى .

ـ **والثالث** : هيبة من غير سلطان .

ـ **والرابع** : حصن من غير حائط .

ـ **والخامس** : الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد .

ـ **والسادس** : راحة الكرام الكاتبين .

ـ **والسابع** : ستر لعيوبه .

ـ **واجتمعا قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي ، فقال أحدهما لصاحبه :**

ـ كم وجدت في ابن آدم من العيوب ، فقال : هي أكثر من أن تحصى ، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها ، قال : ما هي ؟ قال : حفظ اللسان .

فإن قلت : فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه ؟

ــ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ ، والكذب ، والغيبة والنميمة ، والرياء ، والنفاق ، والفحش ، والمراء ، وتزكية النفس والخوض في الباطل ، والخصوم والفضول ، والتحريف والزيادة والنقصان ، وإيذاء الخلق ، وهتك العورات ، فهذه آفات كثيرة هى سياقة إلى اللسان لا تثقل عليه ، ولها حلاوة في القلب ، وعليها بواعث من الطبع ، ومن الشيطان ، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ، ويكفه عما لا يحب ، ففي الخوض خطر وهلاك ، وفى الصمت سلامة وأمان ، فلذلك عظمت فضيلته مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار ، والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة فقد قال تعالى : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [1] .

ــ وفيما سنذكره من الآفات ، ما يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله .

---

[1] سورة ق : آية : ١٨ .

الكلام فيما لا يعنيك

ـ اعلم أن من عرف قدر زمانه ، وأنه رأس ماله ، لم ينفقه إلا في فائدة ، وهذه المعرفة توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعني ، فلو تكلمت فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً ، إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه ، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فلو هللت الله سبحانه ، وسبحته ، وحمدته لكان خيراً لك ، فكم من كلمة يبنى بها قصراً في الجنة ، ويغرس بها غرساً في الجنة ، ومن ترك ذكر الله تعالى ، واشتغل بمباح لا يعنيه كان كمن قدر على أخذ جوهرة فأخذ عوضها قطعة زجاج لا قيمة لها ولن ينتفع بها ، وهذا هو خسران العمر ، فرأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ، ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة ، فقد ضيع رأس ماله ولهذا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ

مَا لاَ يَعْنِيهِ [1] » [2] .

ـ الحكمة بترك ما لا يعنيك :

ـ هو حفظ اللسان من لغو الكلام ، والخوض في الباطل ، لأن من كثر كلامه فيما لا يعنيه لا يأمن عليه الخوض في الإثم ، وقلما سلم من ذلك .

ـ **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه** : لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك ، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى .

ـ **وقال سهل بن عبد الله** : من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدقَ .

---

[1] معنى ذلك : أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه من قول وفعل واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال .

ومعنى يعنيه : أي تتعلق عنايته به ويكون من مقصوده ومطلوبه ، والعناية : شدة الاهتمام بالشيء يقال : عناه يعنيه إذا اهتم به وطلبه .

[2] رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ـ حد الكلام فيما لا يعنيك :

ـ أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ، ولم تستضر به في حال ولا مال :

ـ **مثاله** : أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك ، وما رأيت فيها من جبال وأنهار ، وما وقع لك من الوقائع ، وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر ، وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ، ولا نقصان ، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها !

ـ **ومن جملتها** : أن تسأل غيرك عما لا يعنيك ، فأنت بالسؤال مضيع وقتك ، وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق السؤال عنه آفة ، وأكثر الأسئلة فيها آفات ، فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً .

فتقول له : هل أنت صائم ؟ فإن قال : نعم ، كان مظهراً لعبادته

فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال : لا ، كان كاذباً ، وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به ، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه ، فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب ، أو للاستحقار ، أو للتعب في حيلة الدفع .

وكذلك سؤالك عن سائر عباداته ، وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه ، وسؤالك عما حدّث به غيرك فتقول له : ماذا تقول ؟ وفيم أنت ؟

ـ **وكذلك** : ترى إنساناً في الطريق ، فتقول : من أين ؟ فربما يمنعه مانع من ذكره ، فإن ذكره تأذى به واستحيا ، وإن لم يصدق وقع في الكذب ، وكنت السبب فيه .

ـ **وكذلك** : تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها ، والمسئول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول : لا أدرى ، فيجيب عن غير بصيرة ولا روية فيقع في الإثم .

ـ **وقد روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام** : وهو يسرد درعاً ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم ، فجعل يتعجب مما رأى فأراد

أن يسأله عن ذلك ، فمنعته حكمته ، فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسه ، ثم قال : نعم الدرع للحرب ، فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله .

وقيل : إنه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال .

ـ الباعث عن الكلام فيما لا يعنيك :

ـ الباعث عليه هو الحرص على معرفة ما لا حاجة إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد ، أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها ، وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وأنه مسؤول عن كل كلمة ، وأن أنفاسه رأس ماله وأن لسانه شبكة يقدر على أن يقتنص بها حسنات بغير حساب وذلك بالاشتغال بذكر الله تعالى ، فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين . هذا علاجه من حيث العلم .

ـ وأما من حيث العمل فالعزلة ، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه ، حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه .

فضول الكلام

ــ وهو أيضاً مذموم ، وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى ، والزيادة فيما يعنى على قدر الحاجة ، فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ، ويمكنه أن يجسمه ، ويقرره ، ويكرره ومهما تأدَّى مقصوده بكلمة واحدة ، فذكر كلمتين ، فالثانية فضول ، أي فضل عن الحاجة وهو أيضاً مذموم لما سبق ، وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر .

ــ **قال عطاء بن أبى رباح** : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ ، أو أمراً بمعروف ، أو نهياً عن منكر أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها ، أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ، أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره ، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه .

ـ **وقال ابن مسعود رضي الله عنه** : أُنذِرُكُم فضول كلامكم حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته .

ـ **وقال أبو هريرة رضي الله عنه** : لا خير في فضول الكلام .

ـ **وقالوا** : أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره .

ـ **وكان يقال** : أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه .

ـ **وقال شُفى الأصبحى** : من كثر كلامه كثرت خطيئته .

ـ **وروي أن سليمان عليه السلام** : بعث بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول ويخبرونه ، فأخبروه بأنه مر في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه ، فسأله سليمان عن ذلك فقال : عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون ! ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون !

ـ **وقال الحسن** : يا ابن آدم بُسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك ، فأمل ما شئت فأكثر أو أقل .

ـ **وكان الربيع بن خثيم** : يقول لا خير في الكلام إلا في تسع : تهليل ، وتكبير ، وتسبيح ، وتحميد ، وسؤالك عن الخير وتعوذك من الشر ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر وقراءتك القرآن .

الخوض في الباطل

ـ وهو الكلام ، في المعاصي ، كحكاية أحوال النساء [1] ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء ، وتجبر الملوك ، وأحوالهم المكروهة ، فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام .

ـ ويدخل فيه أيضاً : الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قِبَلِ الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل .

ـ وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس ، أو الخوض في الباطل .

ـ وأنواع الباطل لا يمكن حصرها : لكثرتها ، وتفننها ، فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها .

---

[1] كأن يقول : قالت لي كذا ، وقلت لها كذا ، وفعلت كذا ، وما أشبه ذلك .

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " (١) .

ـ **ومعنى** : " يَتَبَيَّنُ " أي : يفكر أنها خير أم لا .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ " (٢) .

ـ وَعَنْ بِلاَلَ بْنَ الْحَارِثِ الْمُزَنِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ " (٣) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا [1] " [2] .

ـ وَعَنْ قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَهُمْ خَوضاً فِي الْبَاطِلِ " [3] .

وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ** ﴾ [4] .

وبقوله تعالى : ﴿ **فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ** ﴾ [5] .

* * *

---

[1] الثريا : النجم المعروف .

[2] رواه أحمد .

[3] رواه ابن أبي الدنيا .

[4] سورة المدثر : آية : ٤٥ .

[5] سورة النساء : آية : ١٤٠ .

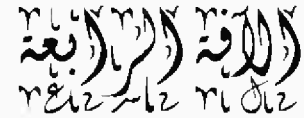

الغيبة

معنى الغيبة

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ " قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ " قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ [1] إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ [2] " [3] .

ـ **فالغيبة إذاً** : هي ذكرك أخاك بما فيه مما يكره .

ـ **سواء أكان في بدنه كقولك** : أعمى ، أعرج ، أعمش ، أقرع قصير ، طويل ، أسود ، أصفر ، ونحو ذلك .

ـ **أو في نسبه كقولك** : أبوه فاسق ، أو خسيس ، أو زنجي أو زبال ، ونحو ذلك .

---

[1] أي : أخبرني .

[2] أي : افتريت عليه الكذب .

[3] رواه مسلم .

ـ **أو في دينه كقولك** : متهاون بالصلاة ، لا يحسن الركوع أو السجود ، متساهل في النجاسات ، ليس باراً بوالده ، لا يضع الزكاة موضعها ، لا يتجنب الغيبة ، سارق ، فاسق ، كذاب شارب خمر ، خائن ، ظالم ، ونحو ذلك .

ـ **أو في خُلقه كقولك** : سيء الخُلق ، متكبر ، مراء ، عجول عاجز ، جبان ، ضعيف القلب ، متهور ، عبوس ، خليع ونحو ذلك .

ـ **أو في أفعاله كقولك** : قليل الأدب ، يتهاون بالناس ، لا يرى لأحد عليه حقاً ، كثير الكلام ، كثير الأكل أو النوم ، ينام في غير وقت النوم ، ويجلس في غير موضعه ، ونحو ذلك .

ـ **أو في ثوبه كقولك** : واسع الكم ، طويل الذيل ، وسخ الثوب ونحو ذلك .

ـ **أو في ولده كقولك** : إنه قبيح ، أو دلع ، أو قليل الأدب أو ليس فيه تربيه ، ونحو ذلك .

ـ **أو في زوجته كقولك** : تكثر الخروج من البيت ، أو تحكم عليه أو هي عجوز ، أو قبيحة ، أو بذيئة اللسان ، أو لا تحسن الطبخ أو قليلة النظافة في بيتها ، ونحو ذلك .

ـ **أو في خادمه كقولك** : سارق أو قبيح أو قليل الأدب ونحو ذلك .

ـ **أو في دابته كقولك** : عاجزة ، أو لا تساوي كذا ، ونحو ذلك .

ـ **أو في داره كقولك** : قليلة المرافق ، أو مظلمة ، أو ضيقة أو ضيع ما صرف عليها ، ونحو ذلك .

ـ **فكل** هذا وأشباهه مما تعلم أن أخاك يكرهه فهو غيبة محرمة حتى وإن كنت صادقاً فأنت به مغتاب ، وعاصٍ لربك ، وآكل لحم أخيك .

ـ **واعلم أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو داخل في الغيبة** : سواء أكان بكلام أو بغيره ، كالإشارة والإيماء ، والغمز والهمز ، والحركة ، والكتابة .

ـ **وكذلك إذا حاكيته** : بأن تلبس لبسته ، أو تمشي مشيته أو تنظر نظرته ، فهو داخل في الغيبة ، بل هذا أشد أنواع الغيبة لأنه أعظم في التصوير والتفهيم .

ـ **ومن الغيبة المحرّمة قولك** : فعل كذا بعض الناس ، أو بعض الفقهاء ، أو بعض من يدّعى العلم ، أو بعض المفتين ، أو بعض ما ينسب إلى الصلاح ، أو يدّعى الزهد ، أو بعض من مرّ بنا اليوم أو بعض من رأيناه ، أو نحو ذلك إذا كان المخاطب يفهمه بعينه لحصول التفهيم .

ـ وقد كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً ، قال : " مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفعلون كَذَا وكَذَا " [1] . فكان لا يعين .

ـ **وأقبح أنواع الغيبة** : غيبة المتزهدين المرائين مثل أن يذكر عندهم إنسان فيقولون : الله يصلحنا ، الله يغفر لنا ، الله يصلحه نسأل الله العافية ، نحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الشر ، الله يعافينا من قله الحياء ، الله يتوب علينا وما أشبه ذلك ، وقصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء .

ـ **وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول** : ما أحسن أحوال فلان ، ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور ، وابتلى بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر ، فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ، ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين ، بأن يذم نفسه ، فيكون مغتاباً ، ومرائياً ، ومزاكياً نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتبعهم ، ويحبط بمكايده عملهم ، ويضحك عليهم ، ويسخر منهم .

---

[1] رواه أبو داود ورجاله رجال الصحيح عن عائشة رضي الله عنها .

ـ **ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان ، فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول** : سبحان الله ما أعجب هذا ، حتى يصغى إليه ، ويُعلم ما يقول ، فيذكر الله تعالى ، ويستعمل اسمه تعالى آله في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً .

ـ **وكذلك يقول** : لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاستخفاف به ، فنسأل الله تعالى أن يروح نفسه ، فيكون كاذباً في دعوى الاغتمام ، وفى إظهار الدعاء له ، بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقب صلاته ، ولو كان يغتم به لاغتم أيضاً بإظهار ما يكرهه .

ـ **وكذلك يقول** : ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه ، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء ، والله مطلع على خبث ضميره ، وخفي قصده ، وهو لجهله لا يدرى أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا .

ـ **ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب** : وذلك بأن يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب بالغيبة ، فيندفع فيها فكأنه يستخرج المغيبة منه بهذا الطريق فيقول : عجباً ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير ، وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله تعالى من بلائه فكل ذلك غيبة محرمة .

تحريم الغيبة

ـ **الغيبة** : هي الداء العضال ، والسم الذي هو أحلى في الألسن من الماء الزلال ، وقد صارت فاكهة كثير من المجالس غيبة المسلمين ، والولوغ في أعراضهم ، وهو أمر قد نهى الله عنه ونفر عباده منه ومثله بصورة كريهة تتقزز منها النفوس فقال تعالى : ﴿ **وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ " [2] .

ـ فكما أن قتل النفس من الكبائر ، وغصب المال من الكبائر فكذلك تناول العرض من الكبائر .

ـ **والغيبة** : تتناول العرض ، وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتهما .

ـ **قال القرطبي رحمه الله في تفسيره** : لا خلاف في أن الغيبة من الكبائر [3] .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[2] رواه مسلم .

[3] تفسير القرطبي : ١٦ / ٣٣٧ .

ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَسْبُكَ [1] مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ : بَعْضُ الرُّوَاةِ ـ تَعْنِي قَصِيرَةً ، فَقَالَ " لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ " قَالَتْ : وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا [2] فَقَالَ : " مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا " [3] .

ـ **ومعنى** : " مَزَجَتْهُ " أي : خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها . وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة .

فإذا كانت هذه الكلمة التي تعد بسيطة في نظر البعض بهذه المثابة في مزج البحر الذي هو من أعظم المخلوقات ، فما بالك بغيبة أقوى منها ، وهل يوجد ذم للغيبة أبلغ من هذا .

ـ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاِسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ " [4] .

---

[1] أي : كافيك .

[2] أي : حكيت له حركة إنسان يكرهها .

[3] رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

[4] رواه أبو داود .

ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا قَـالَ : لَيْلَـةَ أُسْـرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " نَظَـرَ فِي النَّارِ ، فَإِذَا قَوْمٌ يَـأْكُلُونَ الْجِيَـفَ قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّـذِينَ يَـأْكُلُونَ لُحُـومَ النَّاسِ " [1] .

ـ وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُـونَ وُجُوهَهُمْ [2] وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْـتُ : مَـنْ هَـؤُلَاءِ يَـا جِبْرِيـلُ ؟ قَالَ : هَـؤُلَاءِ الَّـذِينَ يَـأْكُلُونَ لُحُـومَ النَّـاسِ ، وَيَقَعُـونَ فِـي أَعْرَاضِهِمْ " [3] .

ـ **وذكر عن أبى أمامه الباهلي رضي الله عنه أنه قال :** إن العبـد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسـنات ، لـم يكـن عملهـا فيقول : يا رب من أين لي هذا ؟ فيقول : هذا بما اغتابـك النـاس وأنت لا تشعر .

ـ **وروي عن الحسن البصري :** أن رجـلاً قال : إن فلاناً قد اغتابك

---

[1] رواه أحمد وإسناده صحيح .

[2] أي : يجرحونها .

[3] رواه أبو داود .

فبعث إليه طبقاً من الرطب ، وقال : بلغني أنك أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك عليها ، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام .

ـ **وقال سفيان بن الحصين** : كنت جالساً عند إياس بن معاوية فمر رجل فنلت منه ، فقال : اسكت .

ثم قال لي سفيان هل غزوت الروم ؟ قلت : لا ، قال : هل غزوت الترك ؟ قلت : لا ، قال : سلم منك الروم ، وسلم منك الترك ولم يسلم منك أخوك المسلم .

ـ **وذكر عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال لأصحابه** : أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم قد كشفت الريح عن بعض عورته كنتم تسترون عليه ؟

قالوا : نعم . قال : بل كنتم تكشفون البقية ، قالوا : سبحان الله كيف نكشف البقية ؟

قال : أليس يذكر عندكم الرجل فتذكرونه بأسوأ ما فيه ، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته .

ـ **وقال يحيى بن معاذ الرازي** : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال

لتكون من المحسنين :

ـ **أحدها** : أنك إن لم تنفعه فلا تضره .

ـ **والثاني** : إن لم تسره فلا تغمه .

ـ **والثالث** : إن لم تمدحه فلا تذمه .

ـ **وذكر عن وهب المكي أنه قال** : لأن أدع الغيبة أحب إلى من أن تكون لي الدنيا وما فيها ، منذ خُلقت إلى أن تفنى فأجعلها في سبيل الله تعالى ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا** ﴾ [1] .

ـ **وكان الصحابة رضي الله عنهم** : يتلاقون بالبشر ، ولا يغتابون ويرون ذلك أفضل الأعمال ، ويرون خلافه عادة المنافقين .

ـ **وقال عبد الكريم بن مالك** : أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ، ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعرض الناس .

ـ **وقال كعب الأحبار** : الغيبة تحبط العمل .

ـ **وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام** : أن من مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

تحريم سماع الغيبة

ـ اعلم أخي المسلم : أن المستمع للغيبة شريك فيها ، ولا يتخلص من إثم سماعها إلا أن ينكر بلسانه ، فإن خاف فبقلبه ، وإن قدر على القيام ، أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك ، فإن لم يفعل عصى .

فإن قال بلسانه : اسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره ، فقال أبو حامد الغزالي : ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم ، ولابد من كراهته بقلبه ، ومتى اضطرّ إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار ، أو أنكر فلم يقبل منه ، ولم يمكنه المفارقة بطريق ، حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة ، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه ، أو بقلبه ، أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها ، ولا يضرّه بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة ، فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا** [1] **فَأَعْرِضْ**

---

[1] أي : بالطعن والاستهزاء .

عَنْهُمْ [1] حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى [2] مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [3] .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ [4] أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [5] .

ـ وقد وعد الله تعالى من أعرض عن اللغو بالفردوس الأعلى :

ـ فقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [6] .

* * *

---

[1] أي : بترك مجالستهم .

[2] الذكرى : أي التذكر .

[3] سورة الأنعام : آية : ٦٨ .

[4] هو : القول القبيح .

[5] سورة القصص : آية : ٥٥ .

[6] سورة المؤمنون : آية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ١٠ ، ١١ .

أمر من سمع غيبة محرمة

بردها والإنكار على قائلها

ـ عَنِ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ فِـي حَدِيثِـه الطَّوِيـل الْمَشْهور قَالَ : قَام النبي ﷺ يُصَلِّي فَقَال : " أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِمِ " فَقَالَ رَجُل : ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِـبُّ اللَّـهَ وَرَسُـولَهُ ، فَقَـالَ النبـي ﷺ : " لاَ تَقُلْ ذَلِكَ أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّـهُ يُرِيـدُ بِـذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " [1] .

ـ وَعَنْ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَدِيثِه الطَّوِيل فِي قصَّة تَوْبَتِه قَالَ : قَالَ النَّبِي ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : " مَا فَعَـلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ " قَالَ : رَجُلٌ مِـنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْـتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْـهِ إِلاَّ خَيْـرًا ، فَسَـكَتَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ [2] .

ـ " عِطْفَاهُ " : جَانِبَاهُ ، وَهُوَ إِشَارَة إِلَى إِعْجَابه بِنَفْسه .

---

[1] رواه البخاري ومسلم .

[2] رواه البخاري ومسلم .

ـ فيجب على من كان حاضراً في المجلس أن ينهي عن المنكر ويدافع عن أخيه المغتاب .

ـ وقد رغب في ذلك النَّبِيِّ ﷺ بقوله : " مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [1] .

ـ وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ " [2] .

* * *

[1] رواه الترمذي وقال : حديث حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

[2] رواه أحمد .

تحريم الغيبة بالقلب

ـ اعلم أن سوء الظن مثل سوء القول ، فكما يحرم أن تحدّث غيرك بمساوئ إنسان ، يحرم أن تحدّث نفسك بذلك وتسئ الظن به قال تعالى : ﴿ **اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ** ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ " [2] .

ـ والمراد بذلك :

ـ عقد القلب وحكمه على غيرك بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقرَّ ويستمرَّ عليه صاحبه فمعفو عنه لأنه لا اختيار له في وقوعه ، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه ، وهذا هو المراد بما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ " [3] .

ـ قال العلماء : المراد به الخواطر التي لا تستقر .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[2] رواه البخارى ومسلم .

[3] رواه مسلم .

ـ سبب تحريم الغيبة بالقلب :

سبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوأ إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته ، وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك ، ثم وقع في قلبك ، فإنما الشيطان يلقيه إليك ، فينبغي أن تكذبه ، فإنه أفسق الفساق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ** ﴾ [1] . فلا يجوز تصديق إبليس .

ـ علامة سوء الظن :

من علامة إساءة الظن أن يتغير قلبك معه عما كان عليه فتنفر منه وتستثقله ، وتفتر عن مراعاته ، وإكرامه والاغتمام بسببه ، فإن الشيطان قد يقرب إلى القلب بأدنى خيال مساوئ الناس ، ويلقى إليه : أن هذا من فطنتك وذكائك وسرعة تنبهك ، وإن المؤمن ينظر بنور الله ، وإنما هو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ٦ .

ـ **ومهما خطر لك سوء في مسلم** : فزد في مراعاته وإكرامه والدعاء له ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك مثله خيفةً من إكرامه ، أو اشتغالك بالدعاء له .

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة لا شك فيها ، فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه ، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه فينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بالاستصغار ، ولكن اقصد تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخلك نقص ، وينبغي أن يكون تركه لذلك النقص بغير وعظك أحب إليك من تركه بوعظك ، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ ، وأجر الغم بصيبته ، وأجر الإعانة له على دينه .

ـ **ومن ثمرات سوء الظن :**

ـ التجسس : فإن القلب لا يقنع بالظن ، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس ، وهو أيضاً منهي عنه .

ـ فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَجَسَّسُوا** ﴾ [1] .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا " [1] .

ـ " وَلاَ تَجَسَّسُوا " : التجسس بالجيم : البحث عن عورات الناس .

ـ وبالحاء : الاستماع لحديث القوم .

ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ [2] يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [3] .

* * *

---

[1] رواه مسلم .

[2] الآنك : هو الرصاص المذاب .

[3] رواه البخاري .

الأسباب الباعثة على الغيبة

ـ اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية منها تختص بالعامة ، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة :

ـ أما الثمانية :

ـ الأول : تشفى الغيظ :

وذلك بأن يجرى من إنسان في حق إنسان آخر سبب يوجب غيظه فكلما هاج غضبه تشفى بغيبة صاحبه .

ـ الثاني : مجاملة الأصحاب :

فمن البواعث على الغيبة : موافقة الأقران ، ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام ، فإنهم إذا كانوا يتفكهون في الأعراض رأى أنه إذا أنكر عليهم ، أو قطع كلامهم استثقلوه ، ونفروا منه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن الصحبة .

ـ الثالث : المباهاة والتصنع :

وذلك بأن يرفع نفسه بتنقيص غيره ، فيقول : فلان جاهل ، وفهمه

ركيك ، وكلامه ضعيف ، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ، ويريهم أنه أعلم منه ، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك .

ـ الرابع : الحسد :

وذلك بأن يحسد من يثني عليه الناس ويحبونه ، ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه ، فلا يجد سبيلاً إلا بالقدح فيه ، فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس ، حتى يكفوا عن كرامته ، والثناء عليه ، لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس ، وثناءهم عليه وإكرامهم له .

ـ الخامس : اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك :

وذلك بأن يذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والعُجْب .

ـ السادس : السخرية والاستهزاء استحقاراً له :

فإن ذلك قد يجرى في الحضور ، ويجرى أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به .

ـ السابع : المهاجمة للدفاع عن النفس :

وذلك بأن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح [1] حاله عند محتشم [2] ، أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ، ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته ، أو يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد ويقول : ما من عادتي الكذب ، فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت .

ـ الثامن : اتهام الغير لتبرئة النفس :

وذلك بأن ينسب إليه شيء فيريد أن يتبرأ منه ، فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرئ نفسه ، ولا يذكر الذي فعل ، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله .

ـ أما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة :

فهي أغمضها وأدقها ، لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض

---

[1] يقبح : يفضح .

[2] محتشم : أي رئيس ذي جاه وحشمة .

الخيرات ، وفيها خير ولكن شـاب الشـيطان بهـا الشـر وهـي كالآتي :

ـ أولاً : إظهار التعجب من حال المخطئ :

وذلك بأن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين ، فيقول : ما أعجب ما رأيت من فلان ! فإنه قد يكون به صادقاً ، ويكون تعجبه من المنكر ، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتاباً وآثماً من حيث لا يدرى ، ومن ذلك قول الرجل : تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهى قبيحة ، وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل ؟

ـ ثانياً : إظهار الرحمة :

بأن يغتم بسبب ما يبتلى به إنسان ، فيقول مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلى به ، فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ، ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره ، فيصير به مغتاباً ، فيكون غمه ورحمته خيراً ، وكذا تعجبه ، ولكن ساقه الشيطان إلى شر من

حيث لا يدرى ، والترحم ، والاغتمام ، ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ، ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه .

ـ ثالثاً : الغضب لله تعالى :

فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه ، فيظهر غضبه ، ويذكر اسمه ، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء .

ـ فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء ، فضلاً عن العوام فإنهم يظنون أن التعجب ، والرحمة ، والغضب ، إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم ، وذلك إثم عظيم .

* * *

علاج الغيبة

ـ فليعلم المغتاب أنه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى لارتكابه ما نهى عنه ، ومشبه عنده بآكل الميتة ، وليعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة ، فإن حسناته تنقل يوم القيامة إلى من اغتابه فإن لم تكن له حسنات ، نقل إليه من سيئات خصمه ، فالعبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه ، فيحصل بها الرجحان ويدخل النار .

ـ فالغيبة هي الصاعقة المهلكة للحسنات .

ـ **قال الحسن البصري** : إياكم والغيبة والذي نفسي بيده لهى أسرع في الحسنات من النار في الحطب .

ـ **وقيل** : إن مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقاً فهو يرمي به حسناته : شرقاً ، وغرباً ، ويميناً ، وشمالاً .

ـ **وروي أن رجلاً قال للحسن البصري** : بلغني أنك تغتابني فقال : ما بلغ قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي .

ـ **وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام** : أن من مات مصراً عليها ، فهو أول من يدخل النار .

ـ فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة ، وينبغي إذا عرضت

له الغيبة أن يتفكر في عيوب نفسه ، ويشتغل بإصلاحها ويستحي أن يعيب وهو معيب .

وإن ظن أنه سليم من العيوب ، فليتشاغل بالشكر على نعم الله عليه ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب ، وهي الغيبة ، وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره له ، فينبغي أن لا يرضاها لغيره من نفسه .

ـ ولينظر في السبب الباعث على الغيبة فيجتهد في قطعه فإن علاج العلة يكون بقطع سببها ، وقد قدمنا الأسباب وسوف نوضح ذلك فيما يلي :

ـ أما الغضب :

فيعالجه بأن يقول إني إذا مضيت غضبي عليه ، فلعل الله تعالى يمضي غضبه على بسبب الغيبة ، إذ نهاني عنها ، فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره وعصيته .

ـ ولتتذكر جزاء كظم الغيظ ، وليس أدل على هذا الثواب من قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنَفِّذَهُ ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ " [2] .

ـ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ " [3] .

ـ فأيهما أحب إليك :

أن تمضي غضبك وتعصي ربك ، أم تفوز بمغفرة الله تعالى وجنته .

ـ أما موافقة الجلساء في معاصيهم :

فلتعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين ، فكيف ترضى لنفسك ذلك أن تترك رضاه عز وجل لرضاهم .

---

[1] سورة آل عمران : آية : ١٣٣ : ١٣٤ .

[2] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

[3] رواه ابن ماجة .

فيجب أن يكون غضبك لله تعالى لا تذكر إنساناً بسوء ، بل ينبغي أن تغضب لله على رفقائك ، إذا ذكروا أحداً بسوء لأنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب ، وهى الغيبة .

ـ وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس :

وذلك بأن تقدح في غيرك فلتعلم أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله ، وربما نقص فضلك عند الناس إذا عرفوك بثلب الغير فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين وهما ، ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً .

ـ وأما الغيبة لأجل الحسد :

فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا ، وكنت في الدنيا معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً نفسك في الدنيا فصرت أيضاً خاسراً في الآخرة لتجمع بين النكالين ، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك ، وأهديت إليه حسناتك ، فإذا أنت صديقه ، وعدو نفسك ، إذ لا تضره غيبتك

وتضرك ، وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك ، أو تنقل إليك سيئاته ولا تنفعك ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ قَالَ الْعُشْبَ " [1] .

ـ وأما الاستهزاء :

فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام ، فلو تفكرت في حسرتك وجنايتك ، وخزيك يوم القيامة ، يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار ، لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ! ولو عرفت حالك ، لكنت أولى أن تضحك منك ، فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يأخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته إلى النار مستهزئاً بك ، وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك ، وتسلطه على الانتقام منك .

---

[1] رواه أبو داود .

ـ وأما تنزيه النفس :

بنسبة الغير إلى الخيانة ، حيث يستغنى عن ذكر الغير ، فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين ، وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله يقيناً ، ولا تدرى أنك ستتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم ، وتهلك في الآخرة وتخسرها بالحقيقة ، وهذا غاية الجهل والخذلان .

ـ وأما عذرك كقولك : إن أكلت الحرام ففلان يأكله ، وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ، فهذا جهل ، لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدى به كائناً ما كان ، ولو دخل غيرك النار ، وأنت تقدر على أن لا تدخلها ، لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ، ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية ، أضفتها إلى ما اعتذرت عنه .

ـ الغيبة عن طريق الرحمة :

فالرحمة على إثم مسلم حسن ، ولكن حسدك إبليس فساقك إلى شر

من حيث لا تدرى فيهجك إلى ذكر اسمه ، فتصير به مغتاباً فتنقص حسناتك ، ويحبط أجرك ، وبذلك تكون أنت المستحق للرحمة .

ـ أما الغضب لله تعالى :

فالغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة ، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ، ليحبط أجر غضبك ، وتصير معرضاً لمقت الله عز وجل بالغيبة .

ـ وأما التعجب :

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة ، فتعجب من نفسك أنت ؟ كيف أهلكت نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه ، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا ! وهو أن يهتك الله سترك ، كما هتكت بالتعجب ستر أخيك .

ـ فمن قوى إيمانه بجميع ذلك ، انكف لسانه عن الغيبة لا محالة .

ما يباح من الغيبة

ـ اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهي ستة أمور :

ـ الأول : التظلم :

ـ فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان ، والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول : ظلمني فلان بكذا .

ـ الثاني : الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب :

ـ فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : فلان يعمل كذا فازجره عنه ، ونحو ذلك ، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر ، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً .

ـ الثالث : الاستفتاء :

ـ فيقول للمفتي : ظلمني أبي ، أو أخي ، أو زوجتي ، أو فلان بكذا ، فهل له ذلك ، وما طريقي في الخلاص منه ، وتحصيل حقي ، ودفع الظلم عني ، ونحو ذلك ؟ والأسلم التعريض ، بأن

يقول : ما قولك في رجل ظلمه أبوه ، أو أخوه ، أو زوجته أو فلان ؟ ولكن التعيين مباح بهذا القدر ، لما روي عَنْ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ ، فَقَالَ ﷺ " خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ " [1] .

فذكرت الشح ، والظلم لها ولولدها ، ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء .

ـ الرابع : تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم :

ـ وذلك من وجوه : منها جرح المجروحين من الرواة للحديث والشهود ، وذلك جائز بإجماع المسلمين ، بل واجب للحاجة .

ـ **ومنها** : المشاورة في مصاهرة إنسان ، أو مجاورته أو مشاركته ، أو إيداعه ، أو الإيداع عنده ، أو معاملته بغير ذلك وجب عليك أن تذكر له ما تعلمه منه على جهة النصيحة ، فإن حصل الغرض بمجرّد قولك : لا تصلح لك معاملته ، أو مصاهرته أو لا تفعل هذا ، أو نحو ذلك فهو الواجب ، وفيه الكفاية

---

[1] متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها .

وإن علم أنه لا ينزجر إلا بالتصريح بعيبه ، فله أن يصرح به .

ـ **ومنها** : إذا رأيت من يشتري عبداً معروفاً بالسرقة ، أو الزنا أو الشرب ، أو غيرهما فعليك أن تبين ذلك للمشتري إن لم يكن عالماً به ، ولا يختص بذلك بل كل من علم بالسلعة المبيعة عيباً وجب عليه بيانه للمشتري إذا لم يعلمه .

ـ **ومنها** : إذا رأيت متفقهاً يتردّد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم ، وخفت أن يتضرر المتفقه بذلك ، فعليك نصيحته ببيان حاله ويشترط أن يقصد النصيحة ، وهذا مما يغلط فيه ، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ، أو يلبس الشيطان عليه ذلك ويُخيل إليه أنه نصيحة وشفقة فليتفطن لذلك .

ـ **ومنها** : أن يكون له ولاية ولا يقوم بها على وجهها إما بأن لا يكون صالحاً لها ، وإما بأن يكون فاسقاً ، أو مغفلاً ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح . أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به ، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به .

ـ الخامس : التعريف :

ـ فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب : كالأعمش ، والأعرج ، والأصم والأعمى ، والأحول ، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك ، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص ، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى .

ـ السادس : التجاهر بالفسق :

ـ فإذا كان الإنسان مجاهراً بفسقه ، أو بدعته ، كالمجاهر بشرب الخمر ، ومصادرة الناس ، وجباية الأموال ظُلماً ، وتولى الأمور الباطلة ، فيجوز ذكره بما يجاهر به ، ويحرم ذكره بغيره من العيوب ، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه .

***

كفارة الغيبة

ـ اعلم أن كل من ارتكب معصية لزمه المبادرة إلى التوبة منهـا

والتوبة من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاث أشياء :

ـ **أولاً** : أن يقلع عن المعصية في الحال .

ـ **ثانياً** : أن يندم على فعلها .

ـ **ثالثاً** : أن يعزم ألا يعود إليها .

ـ والتوبة من حقوق الآدميـين : يشـترط فيهـا هـذه الثلاثـة .

ـ **ورابع** : وهو ردّ الظلامة إلى صاحبها .

أو طلب عفوه عنها والإبراء منها .

ـ **والمغتاب قد جنى الجنايتين** :

ـ **أحدهما** : حق الله تعالى إذ فعل ما نهاه عنه فكفارة ذلك :

ـ التوبة ، والندم .

ـ وأن يعزم ألا يعود إليها .

ـ **والجناية الثانية** : على عرض المخلوق .

ـ واختلف العلماء في توبة المغتاب :

ـ هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه ؟

ـ قال بعضهم : لا يجوز ما لم يستحل من صاحبه [1] .

ـ وقال بعضهم : يجوز .

ـ وفيه وجهان :

ـ إن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه فاستحله ، وأظهر له الندم على فعله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ " [2] .

ـ أما إن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل جعل مكان استحلاله الاستغفار

---

[1] الذين قالوا : لابد أن يستحل من صاحبه ، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه ، فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها .

وأما في الغيبة فلا يمكن ذلك ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ فإنه يشتغل قلبه ، ويوغر عليه صدره ، وما كان هذا سبيله فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها لا على تحصيلها وتكميلها ، والله أعلم .

[2] رواه البخاري .

والدعاء له والثناء عليه بما فيه من خير أمام من اغتابه أمامهم لإصلاح قلوبهم ، ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكيلا يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ، ولعله يهيج عداوته ، ولا يصفو له أبداً .

ـ فعن محبوب بن موسى قال : سألت على بن بكار عن رجل اغتبته ثم ندمت قال : لا تخبره فتفرى قلبه ، ولكن ادع له ، واثن عليه ، حتى تمحو السيئة بالحسنة ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ** ﴾ [1] .

ـ فعلى المغتاب أن يستغفر الله تعالى ، ويتوب إليه ، ويعزم ألا يعود إليها .

ـ ومن أصر عليها ، فليعلم أنه متعرض لسخط الله تعالى لارتكابه ما نهى عنه ، وليعلم أنها من الكبائر ، وأنها محبطة لحسناته وأنها أشد من الربا ، وأنها لو مزجت بماء البحر أنتنته وغيرت ريحه ، وأن أهلها يأكلون الجِيَف في النار ، ويعذبون فيها أشد

---

[1] سورة المؤمنون : آية : ٩٦ .

العذاب ، فقد تقدم قوله ﷺ : " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " [1] .

ـ فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة ، وسوف يقلع عنها في الحال ويستغفر الله تعالى ، ومن أصر عليها ، ولم يجتنبها فقد عصي الله ورسوله ، واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله فقد قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [2] .

ـ فهل بعد هذا الوعيد وعيد ، فمن لم يقلع عنها فلا يلومن إلا نفسه .

---

[1] رواه أبو داود وتقدم ص : ٢٩ .

[2] سورة النساء : آية : ١٤ .

النميمة

معنى النميمة

ـ هي نقل كلام زيد إلى عمر مثلاً على وجه الإفساد والوقيعة واعلم أن اسم النميمة يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول : فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا ، وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول إليه ، أو كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول ، أو بالكتابة ، أو بالرمز ، أو بالإيماء ، وسواء كان المنقول من الأعمال ، أو من الأقوال ، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه ، أو لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، فكل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره ، فينبغي أن يسكت عنه ، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية ، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له ، فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة ، وإفشاء للسر ، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه ، كان قد جمع بين الغيبة والنميمة .

الباعث على النميمة

ـ إما إرادة السوء للمحكي عنه ، أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث ، والخوض في الفضول والباطل .

ـ فانتبه أخي المسلم واحذر النميمة ، فالنمام متعرض لسخط الله ومقته ، وقد حكم على نفسه بعدم دخول الجنة . فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ " [1] .

ـ فاحذر هذه الرذيلة ، واعلم أنها كبيرة من كبائر الذنوب والآثام مفعولها كمفعول النار في الحطب ، تفرق بين الزوجين ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الأصدقاء ، والأعظم من ذلك كله إذا كانت النميمة إلى الحاكم لإيقاع غضب الحاكم على من نقل عنه ، فقد يصدقه الحاكم الظالم بدون أن يتثبت ويعمل بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [2] .

وفي عصرنا هذا جعلت الحكومات الأجور الباهظة للنميمة وسموها

---

[1] رواه مسلم .

[2] سورة الحجرات : آية : ٦ .

(بالمخابرات) فمن أجل تلك الأجور والأغراء المالي ينقل أولئك الموظفون ما هب ودب ، ويزيدون على الكلمة عشرات الكلمات بل المئات ، ويوغرون صدر الحاكم حتى يغضب وينتقم من المنقول عنه ، وقد بثوا هذه الجواسيس في أكثر الأمكنة ، حتى المساجد لم تخل منهم .

نعم : للحاكم أن يبث العيون والمخابرات في لغة عصرنا بالنسبة لأعداء الدولة كي يكون على حذر منهم ، أما بالنسبة إلى الرعية فإنهم كأبناء للحاكم ، والناس منذ خلقهم الله شأن كثير منهم ، الكلام فيما لا يعني والغيبة والنميمة ، وقد يتكلم المظلوم في الحاكم أو في القاضي لينفث عما يجده في صدره ، أو ينتقد الأوضاع المخالفة لشريعة الإسلام .

فلا ينبغي لمن نقل إليه من الحكام ، والقضاة ، وذوي الولايات أن يتعجلوا في القضية ، ويستفزهم الغضب ، ويبادروا بالانتقام وليتذكروا الآية السالفة ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [1] .

ولكن بدلاً من التثبت والصفع في وجه النمام ، ملأ الحكام الظالمون

---

[1] سورة القلم : آية : ١٠ : ١١ .

السجون من الأبرياء الذين نقلت المخابرات لهم أخباراً كاذبة وعلى فرض أن يكون في بعضها شيء من الصدق ، فلم يكن على قصد سيء للحكومة وللحاكم ، وكم قتل الحكام الأبرياء نتيجة تلك المخابرات الظالمة ، ولكن لم يخف على الناس ما فعلت وما انتقم الله منهم ، وهذه مصيبة حلت بأكثر البلدان الإسلامية لا سيما إذا كان مبدأ الحاكم غير إسلامي .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ** ﴾ [1] .

وكيف لا تكون النميمة كبيرة وهي ما هي من الإفساد ، والوقيعة وتوريث الشحناء والبغضاء بين الناس ، وقد تجر البغضاء إلى النزاع بل قد يؤول أحياناً إلى القتال ، وسفك الدماء ، لذا قيل في قوله تعالى : ﴿ **حَمَّالَةَ الْحَطَبِ** ﴾ [2] . يعني امرأة أبي لهب أنها كانت نمامة حمالة للحديث افساداً بين الناس ، وسميت النميمة حطباً : لأنها تنشر العداوة بين الناس كما أن الحطب ينشر النار .

---

[1] سورة إبراهيم : آية : ٤٢ .

[2] سورة المسد : آية : ٤ .

تحريم النميمة

ـ قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [١] .

ـ ﴿ **وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ** ﴾ : فهو كثير الحَلِفِ لعلمه بكذبه وكذلك فهو مَهِينٍ : لا يحترم نفسه عكس العزة .

ـ ﴿ **هَمَّازٍ** ﴾ : يعيبُ الناس بالقول والإشارة .

ـ ﴿ **مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ : يمشي بين الناس بما يُفسد قلوبَهُم ويقطع صلاتهم ومودتهم .

ـ وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ " [٢] .

ـ فهل بعد هذا الوعيد وعيد ، ينذره الرسول ﷺ بعدم دخول الجنة ، ولو لم يرد في الزجر عن النميمة إلا هذا الحديث لكفى المسلم زجراً وبعداً عن هذه الرذيلة ، التي لا يتصف بها إلا كل حقير النفس ودنيئها ، وخبيث الطبع وسيئها .

---

[١] سورة القلم : آية : ١٠ : ١١ .

[٢] رواه مسلم .

ـ **وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه** : فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه ، فقال له الحكيم : قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات : بغضت أخي إلي ، وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة .

ـ **وقال بعض الحكماء** : من أخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم لا من شتمك .

ـ **وقال الحسن البصري** : من نقل إليك حديثاً ، فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك ، وهذا مثل قول الناس من نقل إليك نقل عنك فأحذره .

ـ **وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته** : وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب ، والغيبة والغدر ، والخيانة ، والغل ، والحسد ، والنفاق ، والإفساد بين الناس والخديعة ، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسد في الأرض .

قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ**

وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [1] .

ـ والنمام منهم : لأنه يسعى في الإفساد والإغراء بين الإخوان .

ـ وقيل لمحمد بن كعب القرظي : أي خصال المؤمن أوضع له ؟ فقال : كثرة الكلام ، وإفشاء السر ، وقبول قول كل أحد .

ـ وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى أن قبول السعاية " النميمة " شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شيء فأخبر به ، كمن قبله وأجازه ، فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً في قوله ، لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ، ولم يستر العورة .

ـ وقال بعضهم : لو صح ما نقله النمام إليك ، لكان هو المجترئ بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك ، لأنه لم يقابلك بشتمك .

ـ ويقال : عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالخيال والوسوسة ، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة .

ـ فشر النمام عظيم : فهو شخص متلون يعطي لكل طرف ما يزكي نار الفتنة عنده وما يشحن قلبه بالعداوة والبغضاء ، فهو يقوم

---

[1] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

بدور شيطان الإنس ، يتحرك بسرعة وخفة ليشيع الأسرار ، وينقل الأخبار ، ويحدث الشائعات ، فينبغي أن يتوقى منه .

ـ وقد روي عن حماد بن سلمة أنه قال : رأى رجلاً غلاماً يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام ، فاستخف بالعيب واشتراه ، فمكث عنده أياماً .

ثم قال لزوجه سيده : إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى وقال إنه لا يحبك ، فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه ، فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته حتى أسحره عليها فيحبك ، فقالت في نفسها : نعم ، واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها .

ثم جاء إلي زوجها وقال سيدي : إن سيدتي زوجتك قد إتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه وتريد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجيء إليك وفى يدها شيء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده .

فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته ، والرجل يتناوم لها ، فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما

قال ، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه ، قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم .

ـ وينبغي على كل من حُملت إليه النميمة ، وقيل له إن فلان قال فيك كذا ، أو فعل في حقك كذا ، أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في مماألة عدوك أو تقبيح حالك ، أو ما إلى ذلك ، فعليه ستة أمور :

ـ **الأول** : أن لا يصدقه لأن النمام فاسق مردود الشهادة ، قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [1] .

ـ **الثاني** : أن ينهاه عن ذلك ، وينصح له ويقبح عليه فعله ، قال الله تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ** ﴾ [2] .

ـ **الثالث** : أن يبغضه في الله تعالى ، فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى .

ـ **الرابع** : أن لا تظن بأخيك الغائب السوء ، لقول الله تعالى

---

[1] سورة الحجرات : آية : ٦ .

[2] سورة لقمان : آية : ١٧ .

﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [1] .

ـ **الخامس** : أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس ، والبحث عن تحقيق ذلك ، اتباعاً لقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَجَسَّسُوا** ﴾ [2] .

ـ **السادس** : أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ، ولا تحكى نميمته ، فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا ، فتكون به نماماً ومغتاباً وتكون قد أتيت ما عنه نهيت .

ـ **وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه** : أنه دخل عليه رجل ، فذكر له عن رجل شيئاً .

فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك ، فإن كنت كاذباً ، فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ [3] .

وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ **هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ** ﴾ [4] .

وإن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه أبداً .

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[2] سورة الحجرات : آية : ١٢ .

[3] سورة الحجرات : آية : ٦ .

[4] سورة القلم : آية : ١١ .

الكذب على الله تعالى

أو على رسوله ﷺ

ـ الكذب يكون كفراً إذا كان على الله تعالى ، أو على رسوله ﷺ كأن يقول : قال الله كذا ، أو أوجب الله كذا ، أو حرم الله ذلك الشيء ، والحال أن الله لم يقل ما قال ، ولم يوجب ، ولم يحرم ما زعم ذلك المفتري .

أو يقول : قال رسول الله كذا وكذا ، وهو لا أصل له ، وإنما يريد أن يروج قوله ، أو مذهبه ، أو مبدأه ، أو بضاعته ، أو نحو ذلك من الأغراض الدنيئة ، وكيف لا يكون كفراً وضلالاً وهو يفتري على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ، وماذا يكون موقفه يوم القيامة وبماذا يجيب الله إذا سأله عن كذبه عليه ، أو على رسوله .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ [2] " [3] .

ـ وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " [4] .

ـ وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ رَوَى عَلَيَّ حَدِيثاً وَهُوَ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ " [5] .

***

---

[1] سورة العنكبوت : آية : ٦٨ .

[2] فليتبوأ مقعده من النار : أي فلينزلها منزلاً ومقاماً .

[3] رواه البخاري ومسلم .

[4] رواه البخاري .

[5] رواه البخاري ومسلم .

الكذب على الناس

ـ الكذب من صفات المنافقين ، والكاذب مستوجب اللعنة من رب العالمين ، ولا يجتمع الصدق والكذب في قلب مؤمن ، والكاذب يعرض الله عنه يوم القيامة ولا يكلمه ، وله عذاب أليم ، والكاذب ممقوت لدى أهل الأرض والسماء ، كم جر بكذبه من ويلات على العباد ، كم جر بكذبه من قلق وخصام ، وحروب وفساد ، كم أكلت أموال بالباطل ، كم سفكت دماء بغير حق بكذب من كذب كم جر على الناس شراً مستطيراً فلعن الله الكاذبين ، وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً .

ـ قال تعالى في الكاذبين :

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [1] .

ـ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى

---

[1] سورة الزمر : آية : ٦٠ .

الْكَاذِبِينَ ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [2] .

ـ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [3] .

ـ وَعَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ [4] وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ [5] وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا " [6] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ " [7] .

---

[1] سورة آل عمران : آية : ٦١ .

[2] سورة النحل : آية : ١٠٥ .

[3] سورة غافر : آية : ٢٨ .

[4] أي : يرشد ويوصل إلى (البر) أي : العمل الصالح .

[5] أي : العمل السيء .

[6] رواه البخاري ومسلم .

[7] رواه مسلم .

ـ وَعَنْ سَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : في حديث منام النبي ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ لِقَفَاهُ ، وَآخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ [1] يُشَرْشِرُ [2] شِدْقَهُ [3] إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنَاه إِلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَذْهَب إِلَى الْجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ ، فَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ مِثْلَ مَا كَانَ [4] فَيَفْعَلُ بِهِ كَذَلِكَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فقُلْتُ لَهُمَا مَن هَذَا فقَالاَ : إنه كَان يَغْدُو [5] مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ [6] " [7] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ [8]

---

[1] بكلوب من حديد : مثل تنور خشبة في رأسها حديدة .

[2] فيشرشر : أي يقطع .

[3] شدقه : هو جانب الفم .

[4] يصح مثل ما كان : أي يعود كما كان قبل الشرشرة .

[5] يغدو : أي يخرج .

[6] الآفاق : جمع أفق ، وهو الناحية .

[7] رواه البخاري .

[8] عائل : أي فقير .

مُسْتَكْبِرٌ " [1] .

ـ وَعَنْ نَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَبُرَتْ خِيَانَةً تُحَدِّثُ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ كَاذِبٌ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذْبَةٌ " [3] .

ـ **وقال على رضي الله عنه** : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب .

ـ **وقال ابن المبارك** : أول عقوبة الكاذب من كذبة أنه يرد عليه صدقه .

ـ **وقال يزيد بن ميسرة** : إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقى الماء أصول الشجر .

ـ ونحن نجد أن أكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم أو لزيادات المال والجاه ، حتى إن المرأة لتحكي عن زوجها

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد .

[3] رواه أحمد .

ما تفخر به وتكذب لأجل التباهي أمام الأخريات ، أو لمراغمة الضرات ، وذلك حرام .

فالمسلم لا يظهر في غير مظهره ، ولا يظهر خلاف ما يبطنه فلا يلبس ثوب زور ، ولا يرائي ، ولا يتكلف ما ليس له .

ـ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقُولُ : إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ " (١) .

ـ " الْمُتَشَبِّعُ " : هو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان ، ومعناه هنا أنه يظهر أنه حصل له فضيلة ، وليست حاصلة .

ـ " وَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ" أي ذي زور ، وهو الذي يزور على الناس بأن يتزيا بزي أهل الزهد والعلم ، أو الثروة ليغتر به الناس وليس هو بتلك الصفة . والله أعلم .

ـ فعلى المسلم أن يصون لسانه عن الكذب ، بل وعن كل كلام لا فائدة دينية ، أو دنيوية منه ، فإن في السكوت السلامة ، وفي الحديث الصحيح : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ " (٢) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم وتقدم ص : ٥ .

ما رخص فيه

من الكذب

ـ اعلم أن الكذب إنما حرم لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره وقد يتعلق به مصلحة فيكون مأذوناً فيه وربما كان واجباً .

ـ فإذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله ، وَسُئل إنسان عنه ، وجب الكذب بإخفائه .

ـ وكذا لو كان عنده ، أو عند غيره وديعة ، وسأل عنها ظالم يريد أخذها ، وجب الكذب بإخفائها .

ـ وإذا كان لا يتم مقصود الحرب ، أو إصلاح ذات البين [1] أو استمالة قلب المجني عليه ، أو الإصلاح بين الزوجين إلا بكذب ، فالكذب هنا مباح بشرط ، أن يُقتصر فيه على حد الضرورة لئلا يتجاوز ما يُستغني عنه .

---

[1] وإصلاح ذات البين يكون : إما بين رجلين ؛ أو بين رجل وامرأة ، أو بين طائفتين .

ـ فعَنِ أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا [1] أَوْ يَقُولُ خَيْرًا " [2] .

ـ وفي رواية : " قَالَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ : يَعْنِي الْحَرْبَ ، وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ [3] وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا " [4] .

ـ **وروى أن ابن أبي عذرة الدؤلي** : وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن ، فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها [5] ، فلما علم بذلك ، أخذ بيد عبد الله بن الأرقم ، حتى أتى به الى منزله ، ثم قال لامرأته : أنشدك بالله هل تبغضيني ؟

قالت : لا تنشدني [6] ، قال : فإني أنشدك الله ، قالت : نعم

---

[1] أي : يبلغ خيراً .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] أي : بما يرضيها .

[4] رواه مسلم .

[5] أي : سيرة يتناقلونها .

[6] أي : لا تحلفني .

فقال لابن الأرقم : أتسمع ؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال : إنكم لتحدثون أنني أظلم النساء وأخلعهن ، فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره ، فأرسل إلى امرأة ابن أبى عـذرة ، فجـاءت هـي وعمتها .

فقال : أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه ؟

فقالت : إني أول من تاب وراجع أمر الله تعـالى ، إنـه ناشـدني فتحرجت أن أكذب ، أفأكذب يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم فاكذبي ، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ، ولكن النـاس يتعاشـرون بالإسلام والأحساب .

***

الكذب في المنام

ـ يعمد بعض الناس إلى اختلاق رؤى ومنامات لم يروها لتحصيل فضيلة أو ذكر بين الخلق ، أو لحيازة منفعة مالية أو تخويفاً لمن بينه وبينهم عداوة ونحو ذلك ، وكثير من العامة لهم اعتقادات في المنامات وتعلق شديد بها ، فيخدعون بهذا الكذب ، وقد ورد الوعيد الشديد لمن فعل هذا الفعل .

ـ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " أَفْرَى الْفِرَى [1] أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا " [2] .

ـ **معناه أن يقول** : رأيت في منامي كيت وكيت ، ولم يكن رأى شيئاً .

ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ

---

[1] أي : من أكذب الكذبات .

[2] رواه البخاري .

تَحَلَّمَ [1] بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ " [2] .

ـ وَعَنْهُ أيضاً : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ تَحَلَّمَ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَعُذِّبَ وَلَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا " [3] .

ـ **قال الحافظ** : وذلك ليطول عذابه في النار .

وذلك لأن العقد بين شعيرتين أمر مستحيل فكان الجزاء من جنس العمل .

ـ **وقال الطبري** : إنما أسند الوعيد فيه مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه ، كشهادة الزور في قتل مسلم ، **أو أخذ** ماله : لأن الكذب في المنام كذب على الله تعالى ، وذلك لحديث " الرؤيا جزء من النبوة " وما كان من أجزاء النبوة فمن الله تعالى [4] .

ـ **والخلاصة** : أن المنام جزء من الوحي فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه إليه . ولذلك اشتد الوعيد فيه .

---

[1] تحلم : أي قال إنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا ، وهو كاذب .

[2] رواه البخاري .

[3] رواه أحمد .

[4] دليل الفالحين لمحمد بن علان المكي ص : ٣١٣ .

الآفة التاسعة

الحديث الذي يُضحك به الناس فيكذب

ـ عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ " [1] .

ـ كرره إيذاناً بشدة هلكته .

وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم ، وجماع كل شر ، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ، ويورث الضغينة بين الناس في بعض الأحوال ، ويسقط المهابة والوقار ، وقد يجر إلى القبيح ، كان أقبح القبائح .

---

[1] رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

اليمين الكاذب

ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ ؟ قَالَ : " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ " قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ " قَالَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " الْيَمِينُ الْغَمُوسُ " قُلْتُ : وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ ؟ قَالَ : " الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ " [1] .

ـ " الْيَمِينُ الْغَمُوسُ " : من الكبائر المهلكة .

وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار من جراء جرأته على الله العظيم ، الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الكائنات وذلت له الجبابرة ، وهذا الحالف الكاذب في يمينه الذي قصده الوحيد أن يسلب مال أخيه في الإسلام أو في البشرية ، لم يبال

ـ **أولاً** : بعظمة الله وجلاله .

ـ **وثانياً** : ظلم نفسه بأخذ مال غيره لنفسه .

ـ **وثالثاً** : ظلم أخاه فأخذ ماله .

---

[1] رواه البخاري .

ـ وَعَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ " قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [1] .

ـ والآية بكمالها : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[2] .

ـ **ومعنى الآية** : ﴿ **يَشْتَرُونَ** ﴾ : أي يستبدلون ويأخذون .

ـ ﴿ **بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ** ﴾ : أي بما عهد إليهم وأيمانهم الكاذبة .

ـ ﴿ **ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ : أي عرضاً يسيراً من الدنيا وهم يحلفون عليه كاذبين .

ـ ﴿ **أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ** ﴾ : أي لا نصيب لهم من نعيمها وثوابها .

ـ ﴿ **وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ** ﴾ : أي بكلام يسرهم .

---

[1] رواه مسلم .

[2] سورة آل عمران : آية : ٧٧ .

ـ ﴿ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ : نظر رحمة .

ـ ﴿ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ﴾ : أي ولا يزيدهم خيراً ولا يثنى عليهم .

ـ ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : أي مؤلم شديد الإيلام .

ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ مِرَارًا ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الْمُسْبِلُ [1] وَالْمَنَّانُ ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ [3] " [4] .

ـ فهل بعد الآية الكريمة التي أوردناها ، والأحاديث الزاجرة التي

---

[1] يعني المسبل إزاره وثوبه أسفل من الكعبين للخيلاء .

[2] رواه مسلم .

[3] أي : عوداً من سواك .

[4] رواه مسلم .

توعدت الحالف بغضب الله ، وتحريم الجنة عليه ، يبقى عذر لمن يدعى الإسلام ، ويستحل أموال إخوانه المسلمين أمام القضاة والمحاكم بأيمان كاذبة ودعاوي زائفة ، أو من يحلف على سلعة أنها اشتراها بكذا والحالة أنه غير صادق فيغتر بها المشتري ويشتريها بثمن غال ، أو يغشه بها بعد أن يؤكد له بالحلف من أن السلعة ليس فيها أي عيب ، ونحو ذلك .

***

ذو اللسانين وذو الوجهين

ـ ذو اللسانين وذو الوجهين ، الذي يتردد بين المتصافين أو المتخاصمين وينقل كلام كل واحد إلى الآخر ، ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ، أو يعده أنه ينصره ، أو يثنى على الواحد في وجهه ويذمه عند الآخر .

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ " (١) .

ـ وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا ، كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٢) .

ـ وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ : أَنَّ نَاساً قَالُوا لِجَدِّه عَبْد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ ، قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ هذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ (٣) .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود .

(٣) رواه البخاري .

نقض العهد

ـ الغدر بالعهد وعدم الوفاء بالوعد من أكبر صفات المنافقين ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة وجوب الوفاء بالعهد وتحريم الغدر .

ـ فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ [2] .

ـ **قال ابن عباس رضي الله عنهما** : العهود : يعني ما أحل الله وما حرم ، وما فرض وما حد في القرآن كله .

ـ ويدخل في ذلك العقود كافة : كعهد الله ، وعقد الحلف ، وعقد الشركة ، وعقد البيع ، وعقد النكاح ، وعقد الأيمان .

ـ **وكثيراً ما يجري نقض العهد بين الحكام وبين القبائل** : فتراه يعطي حاكم لحاكم آخر ، أو قبيلة أخرى العهد والأمان ، ثم ينبذه من غير

---

[1] سورة الإسراء : آية : ٣٤ .

[2] سورة المائدة : آية : ١ .

أن يشعره فتقوم الفتن ، والحروب الطاحنة ، وتسفك فيها دماء الأبرياء ، وتنهب فيها الأموال ، وقد تستباح فيها الأعراض والمحرمات ، وتتأصل العداوات في القلوب ، وتنقطع الصلات بين المسلمين ، وتفترق كلمتهم كل ذلك لأنهم يخالفون الله ورسوله ولا يرعون العهود .

ـ **وكذلك يجري نقض العهد بين المتبايعين** : يبيعه سلعة أو يشتري أخرى ، ثم يجد ثمناً أكثر بالنسبة للبائع ، أو أقل بالنسبة للمشتري فينقض عقد البيع ويأتي بشبهات واهية ليسوغ فعله الخائن وينقض صفقته كأن يقول : أنا شريتها لغيري ، أو أنا ما رأيتها ، أو فيها العيب الفلاني وما علمت به ، أو أن الموكل لم يفوضني بهذا الثمن أو يصور البيع بعقد ربوي ليتوصل إلى نكثه وبطلانه أو ما شابه ذلك من الكلام الكاذب .

ـ **كما أن إخلاف الوعد كثيراً ما يجري بين بعض الناس** : فتراه يعده بأن يعطيه شيئاً ، أو يقضي له حاجة ، ويعلق الموعود أماله الكبيرة على ذلك الوعد ويبني عليه بنياناً شامخاً ، فإذا حل الأجل فإن من وعده يأتي بأعذار أوهى من بيت العنكبوت ليخلف وعده وقد يكون

ضرراً على الموعود مثل أن يكون قدم خطبة زواج ، وطلب منه مالاً فوعده بأن يساعده بمبلغ كذا إما عطاء وإما قرضاً ، فيذهب الموعود ويخطب زوجة ويسلم بعض مقدمات الزواج ، فإذا الواعد قد أخلف الوعد ونقض العهد ، وأصبح الموعود في موقف حرج قد خاب أمله وذهبت عليه مخطوبته ، أو يشتري سلعة ويعده بالمساعدة أو بالقرض ، ويخلف الوعد ، فيقع الموعود في أمر حرج ، وحالة سيئة من جراء كذب ذلك الرجل ، وعدم وفائه في وعده .

ـ فإلى هؤلاء الناكثين العهود والمخلفين الوعود نزف إليهم آيات من القرآن العظيم ، وبعض الأحاديث النبوية لتكون رادعة لمن تسول له نفسه الأمارة بخلف الوعد ونقض العهد .

ـ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [1] .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ

---

[1] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [١] .

ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ " [٢] .

ـ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ [٣] يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ " [٤] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ

---

[١] سورة التوبة : آية : ٧٥ : ٧٧ .

[٢] رواه البخاري ومسلم .

[٣] الغادر : الذي يعاهد ولا يفي . (اللواء) : الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعاً له . والمعنى : أن لكل غادر لواء أي : علامة يشتهر بها في الناس ، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق لغدر الغادر ليشتهر .

[٤] رواه مسلم .

وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ " [1] .

ـ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ في حديث الصحيفة وفيها قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ، وَالْمَلاَئِكَةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ " [2] .

ـ **ومعنى** : " أَخْفَرَ " أي : غدر ونقض العهد .

ـ **ومعنى** : " لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ " أي : لا يقبل منه فرض ولا نفل .

ـ وقد وعد الله تعالى من يوفي بوعده بالفردوس الأعلى :

ـ فقال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** (٨) **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** (٩) **أُولَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ** (١٠) **الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [3] .

---

[1] رواه البخاري .

[2] رواه البخاري مسلم .

[3] سورة المؤمنون : آية : ١ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

شهادة الزور

ـ وهي أن يشهد الإنسان أمام حاكم شرعي أو غيره بما لا يعلم أو لا يتحققه ، ويتحرى الباطل ويكذب ، ولا ريب أنها من الكبائر المهلكة ، بل عدها رسول الله ﷺ ـ أكبر الكبائر .

ـ وقد كثرت شهادة الزور في المجتمعات الإسلامية ، إما أن يشهد برشوة يأخذها ممن يريد أن يشهد له ، وإما أن يكون باعث شهادته قرابة بينه وبين المشهود له ، كأخيه ، أو ابن عمه ، أو من عشيرته ، أو عداوة بينه وبين المشهود عليه ، أو أن يكون المشهود له ذا ثروة وجاه ، أو من الأمراء والحكام ، أو غير ذلك من المقاصد الدنيئة السيئة التي مآلها إيثار الدنيا على الآخرة ، والباطل على الحق .

ـ أيها الشاهد بالزور :

ـ أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾ [1] .

---

[1] سورة الحج : آية : ٣٠ .

وأنت ترى أن الله سبحانه وتعالى ــ جعل هــذه الشــهادة قــرين الإشراك بالله ، وذلك لأن الشرك بالله ظلم عظيم ، كما قال تعــالى مخبراً عن لقمان في وصيته لابنه : ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِــهِ وَهُــوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [1] .

ــ فكما أن المشرك لا يصرف عبادته لله تعالى الذي خلقه وأنعــم عليه ، ويصرفها لمن لا يستحقها من المخلوقات .

ــ فكذلك شاهد الزور : لا يشهد بالحق ، بل يشهد بالباطــل لمــن لا يستحق من المشهود عليه ، وعليه فشاهد الزور معدود من أكبر الظالمين : حيث إنه ظلم نفسه أولاً فقد حملها إثماً عظيماً .

وظلم المشهود له : لأنه شهد له بما لا حق له فيه .

وظلم المشهود عليه : لأنه لا يجب عليه ما شهد به ذلك الظــالم .

وظلم القاضي أو الحاكم : حيث إنه أوقعه في الباطل وحكم به .

ــ لذا قرن الله تعالى شهادة الزور بالإشراك بالله لما فيها من المظالم العديدة والمفاسد الكثيرة : وفيما يلي توضيح ذلك .

ــ أولاً : شاهد الزور قد ظلم نفسه ، وإليك بيان ذلك :

١ــ بارز الله تعالى بالعصيان : لأن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل

---

[1] سورة لقمان : آية : ١٣ .

الكتب ليقوم الناس بالقسط (أي : بالعدل) .

ـ وهذا المجرم بدلاً من أن يشهد بالحق والعدل ، شهد بالزور والظلم ، وعصى الله تعالى ورسوله ، واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [1] .

٢ـ ارتكب أكبر الكبائر :

ـ فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ " قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ " وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ : " أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ [2] .

٣ـ اقترف ظلماً عظيماً بالكذب والافتراء :

ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [3] .

---

[1] سورة النساء : آية : ١٤ .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] سورة غافر : آية : ٢٨ .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [1] .

٤ـ وجبت له النار :

ـ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَنْ تَزُولَ قَدَمَا شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ " [2] .

ـ ثانياً : ظلم الذي شهد عليه :

فأخذ بشهادته ماله ، أو بيته ، أو أرضه ، أو زوجته إن شهد بطلاقها منه ، أو يهدر دمه إن شهد بقتل .

ـ ثالثاً : ظلم الذي شهد له :

وذلك بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته ووجبت له النار :

ـ فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ " [3] .

---

[1] سورة الزمر : آية : ٦٠ .

[2] رواه ابن ماجة .

[3] رواه البخاري ومسلم .

ـ وقد تقدم قوله ﷺ : " مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ [1] " [2] .

ـ رابعاً : أباح ما حرم الله وعصمه :

من المال ، والدم ، والعرض .

ـ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ " [3] .

ـ خامساً : ضياع الحقوق .

ـ سادساً : إعانة الظالم على الظلم :

فتجرأ الناس على ارتكاب الجرائم واقتراف الآثام ، اتكالاً على وجود أولئك الفسقة العصاة الآثمين المجرمين : وأعني بهم : شهود الزور .

ـ فكم أخذت أموال بغير حق بشهادة شهود الزور، وكم سفكت

---

[1] أي : عوداً من سواك .

[2] رواه مسلم وتقدم ص : ٨٥ .

[3] رواه مسلم .

دماء بغير حق ، وكم وقعت فتن ذهب ضحيتها ما لا يعد من الأموال ، والأرواح بأسباب تلك الشهادات الباطلة ، وكم جرت الويلات والشرور على المشهود عليهم ، فخربت بيوتهم وأخذت أموالهم ، وأصبحوا فقراء ، لا يملكون شيئاً ، بعد أن كانوا أغنياء .

ـ وكم طلقت أزواج من أزواجهن وأنكحت لغير أزواجهن ، وكم أخذت أولاد بغير حق ، وذلك كله نتيجة لتلك الشهادة الآثمة .

ـ فإذا كانت هذه المفاسد بعض من نتائجها ، فلا عجب إذا جعلها الله تعالى قرين الشرك بالله ، ومن الكبائر المهلكة كما تقدم في قوله ﷺ : " أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ " قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ " وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ ، فَقَالَ " أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا ، حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ .

ـ وأنت ترى أنه قد وقع لرسول الله ﷺ عند ذكرها من الغضب والتكرير ما لم يقع له عند ما هو أكبر منها ، فدل ذلك على عظيم أمرها ، وكبير إثمها ، وكفاه إثماً وعقوبه قول رسول الله ﷺ المتقدم : " لَنْ تَزُولَ قَدَمَا شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ " .

إفشاء السر

ــ كم من إظهار سر أراق دم صاحبه ، ومنع من نيل مطالبه ، ولو كتمه كان من سطوته آمناً ، وفى عواقبه سالماً ، ولنجاح حوائجه راجياً ، وإظهار الرجل سر غيره أقبح من إظهار سر نفسه ، لما فيه من الإيذاء ، والتهاون بحق المعارف والأصدقاء ، ولأنه يبوء بثلاث وصمات : الخيانة ، والغيبة ، والنميمة .

ــ **قال الحسن رحمه الله** : إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك .

ــ **وقيل لبعضهم** : كيف أنت في كتم السر ؟ قال : أستره ، وأستر أني أستره .

ــ وأما عن الاسترسال بإبداء السر للغير فهو ، يدل على ضيق الصدر ، وقلة الصبر ، حتى إنه لم يتسع لسر ، ولم يقدر على صبر .

ــ **وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه** : ما وضعت سرى عند أحد أفشاه على فلمته ، أنا كنت أضيق به حيث استودعته إياه .

ـ قال الشاعر :

إذا المـــرء أفشى سرهُ بلسانه ∴

ولام عليـــه غيرهُ فهـــو أحمقُ

إذا ضاق صدرُ المرء عن سرِ نفسه ∴

فصدر الذي يستودع السر أضيقُ

ـ **وقال بعض الفصحاء** : ما لم تغيبه الأضـــالع ، فهـــو مكشـــوف ضائع .

ـ وليس أدل على حفظ السر وكتمانه في الحياة العامة والخاصـــة من قوله ﷺ في كيفية وثواب إخفاء الصدقة ، وأن يُعطى الإنســـان بيمينه ما لا تعلم شماله ، فقد قَالَ ﷺ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّـــهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ " فذكر منهم : " وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَـــا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ " [1] .

ـ **ومن أدب النبوة في البيوت** : قوله ﷺ : " إِنَّ مِنْ أَشَـــرِّ النَّـــاسِ عِنْـــدَ اللَّهِ مَنْـــزِلَةً يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ الـــرَّجُلَ يُفْضِي [2] إِلَى امْرَأَتِـــهِ

---

[1] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] يفضي : هو مباشرة البشرة ، كناية عن الجماع .

وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا " [1] .

ـ ***قال النووي :*** وفي هذا الحديث تحريم إفشاء السر فيما يجري بينه وبين امرأته ، من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك وما يجري من المرأة فيه من قول أو فعل أو نحوه .

ـ فأما مجرد ذكر الجماع فإن لم يكن فائدة ولا إليه حاجة فمكروه لإنه خلاف المروءة [2] .

ـ وقد عدّة ابن القيم رحمه الله وغيره من الكبائر .

ـ **وحتّى في الحروب :** فكان ﷺ لا يقصد مكاناً إلا ورّى بغيره لكي لا تُكْشَف الخطة .

ـ وقد ورد عن عمر بن عبد العزيز قوله : القلوب أوعية الأسرار ، والشفاه أقفالها ، والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره .

* * *

---

[1] رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

[2] شرح مسلم النووي : ١٠ / ٨ / ٩ .

الآفة الخامسة عشرة

السخرية والاستهزاء

ـ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ [1] .

ـ **قال الحافظ ابن حجر** : إن من فعل إحدى الثلاث : " السخرية النبز ، اللمز " : استحق اسم الفسوق ، وهو غاية النقص بعد أن كان كامل الإيمان ، وضم الله تعالى إلى هذا الوعيد الشديد قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ** ﴾ . للإشارة إلى عظمة إثم كل واحد من تلك الثلاثة .

ـ معنى السخرية :

ـ الاستهانة والتحقير ، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه ، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول ، وقد

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١١ .

يكون بالإشارة والإيماء .

ـ **وقال ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ﴾** [1] .

ـ إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب والكبائر لما فيه من التحقير والتهاون ، ولما فيه من تأذي المستهزأ به والضحك تارة يكون على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم ، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه ، وعلى صنعته أو على صورته وخلقته إذا كان قصيراً ، أو كان ناقصاً لعيب من العيوب ، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها .

ـ **معنى اللمز** : أي يعيب بعضكم على بعض بالقول وغيره .

ـ **معنى النبز** : أي يدعو بعضكم بعضاً بلقب السوء .

ـ **قال النووي** : اتفق العلماء على تحريم تلقيب الإنسان بما يكرهه سواء كان صفة له كالأعمى ، والأعرج ، والأحول ، والأصفر

---

[1] سورة الكهف : آية : ٤٩ .

والمقعد والأشلّ ، أو كان صفة لأبيه ، أو لأمـــه ، أو غيـــر ذلـــك مما يكرهه [1] .

ـ ومجمل القول أن الله تعالى قد نهى المسلم أن يحتقر أخاه المسلم وفيما يلي بيان الأحاديث النبوية التي ترهب من ذلك :

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَـــالَ رَسُـــولُ اللَّـــهِ ﷺ " بِحَسْبِ امْرِئٍ [2] مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ [3] " [4] .

ـ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّـــهُ عَنْـــهُ : عَـــنِ النَّبِـــيِّ ﷺ قَـــالَ " لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِـــهِ مِثْقَـــالُ ذَرَّةٍ مِـــنْ كِبْـــرٍ " قَـــالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُـــهُ حَسَـــنًا ، وَنَعْلُـــهُ حَسَـــنَةً قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبْرُ : بَطَرُ الْحَقِّ ، وَغَمْـــطُ النَّاسِ " [5] .

ـ **ومعنى** : " بَطَرُ الْحَقِّ " : أي دَفْعُهُ .

ـ " وَغَمْطُهُمْ " : أي احْتِقَارُهُمْ .

---

[1] الأذكار للنووي ص : ٢٥٩ .

[2] أي : كافى أي إنسان .

[3] وذلك لعظمه في الشر كاف عن لكتساب آخر .

[4] رواه مسلم .

[5] رواه مسلم .

ـ فنرى رسول الله ﷺ نهى عن أن يحتقر المسلم أخاه ، وبين أن الاحتقار إنما هو تكبر على الغير ، فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال ، وإلى غيره بعين الانتقاص فيحتقرهم ويزدريهم ، ورب هذا المحتقر أفضل عند الله من سواه ، وذو مكانة عالية ، فقد احتقر إبليس اللعين آدم عليه السلام لكونه خلق من طين ، وهو من نار واستكبر أن يسجد له فكان جزاؤه الخسار الأبدى .

ـ وقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ " [2] .

* * *

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٣ .

[2] رواه مسلم .

المراء والجدال

ـ **المراء** : هو الطعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مرتبته عليه .

ـ **والجدال** : هو عبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ، ونسبته إلى التهور والجهل فيه .

ـ **والباعث على هذا** :

هو الترفع بإظهار العلم والفضل ، والتهجم على الغير بإظهار نقصه ، فينبغي للإنسان أن ينكر المنكر من القول ، ويبين الصواب فإن قبل منه وإلا ترك المماراة ، هذا إذا كان الأمر معلقاً بالدين فأما إذا كان في أمور الدنيا ، فلا وجه للمجادلة فيه .

ـ **والخلاصة** :

أن كل كلام سمعته ، إن كان حقاً فصدق به ، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه .

ـ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنَا زَعِيمٌ [1] بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ " [2] .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ " [3] .

ـ **وقال مالك بن أنس** : ليس هذا الجدال من الدين في شيء .

ـ **وقال أيضاً** : المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن .

ـ **وقال بلال بن سعد** : إذا رأيت الرجل لجوجاً ، مماريا معجباً برأيه فقد تمت خسارته .

ـ **وقال ابن أبى ليلى** : لا أماري صاحبى : فإما أن أكذبه ، وأما أن أغضبه .

ـ **وقال أبو الدرداء** : كفى بك إثماً أن لا تزال مماريا .

---

[1] زعيم : أي ضامن .

[2] رواه أبو داود .

[3] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ـ **وقال مسلم بن يسار** : إياكم والمراء ، فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته .

ـ **وقال عمر رضي الله عنه** : لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث ، لا تتعلمه : لتمارى به ، ولا لتباهى به ، ولا لترائي به ولا تتركه :حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بالجهل منه .

ـ **وروي أن أبا حنيفة رحمة الله عليه** : قال لداود الطائي ، لم آثرت الانزواء ؟ قال : لأجاهد نفسي بترك الجدال ، فقال : احضر المجالس ، واستمع ما يقال ولا تتكلم ، قال : ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منها .

وهو كما قال ، لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادرعلى كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جداً ، ولذلك قال ﷺ : " أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا " . لشدة ذلك على النفس .

المخاصمة

ـ قال تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ " [2] .

ـ أي : كثير الخصومة واللدد هو شدة الخصومة وهو الاعوجاج والانحراف عن الحق .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ [3] فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا " [4] .

---

[1] سورة البقرة : آية : ٢٠٤ .

[2] رواه البخارى ومسلم .

[3] الشحناء : أي العداوة .

[4] رواه مسلم .

ـ **وقال بعضهم** : إياك والخصومة فإنهما تمحق الدين ، وتوغر الصدر ، وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب نسى المتنازع فيه وبقى الحقد بين المتخاصمين ، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ، ويطلق اللسان في عرضه ، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات ، وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى إنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه .

ـ فالخصومة مبدأ كل شر ، وكذا المراء والجدال ، وأقل ما يفوته في الخصومة ، والمراء والجدال طيب الكلام ، وما ورد فيه من الثواب ، إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة ، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن ، والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل ، وإما تكذيب ، فإن من جادل غيره ، أو ماراه أو خاصمه فقد جهله ، أو كذبه ، فيفوت به طيب الكلام وثوابه العظيم .

ـ فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَى بُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا ، وَظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا " فَقَالَ : أَعْرَابِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : " لِمَنْ

أَطَابَ الْكَلاَمَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ " [1] .

ـ وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ " [3] .

ـ **وقال بعض الحكماء** : الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح .

ـ **وقال بعض الحكماء** : كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً ، فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين .

ـ وهذا كله في فضل الكلام الطيب ، وتضاده الخصومة ، والمراء والجدال واللجاج ، فإنه الكلام المستكره الموحش ، المؤذي للقلب المنغص للعيش ، المهيج للغضب ، الموغر للصدر .

---

[1] رواه أحمد .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] رواه البخاري ومسلم .

الفحش وبذاءة اللسان

ـ عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ ، بِالطَّعَّانِ ، وَلاَ اللَّعَّانِ ، وَلاَ الْفَاحِشِ وَلاَ الْبَذِيءِ " [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ " [2] .

ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ " [3] .

ـ حد الفحش :

فأما حده وحقيقته ، فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات

---

[1] رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

[2] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

[3] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الصريحة ، وأكثر ذلك يجرى في ألفاظ الجماع وما يتعلق به ، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه ، وأهل الصلاح يتحاشون عنها ، بل يكنون عنها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله عز وجل حي كريم يعفو ويكني ، كنى باللمس عن الجماع قال تعالى : ﴿ **أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ** ﴾ [1] .

ـ وهناك عبارات فاحشة ، يستقبح ذكرها ، ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير ، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش ، وبعضها أفحش من بعض .

ـ وكل ما يخفى ويستحي منه ، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه صريحة فإنه فحش ، فمثلاً : الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرهما .

ـ وكذلك من به عيوب يستحي منها ، فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص ، والقرع ، بل يقال العارض الذي يشكوه ويلحق بما ذكرناه من الأمثلة ما سواه .

---

[1] سورة النساء : آية : ٤٣ .

ـ **قال العلاء بن هارون** : كان عمر ابن عبد العزيز يتحفظ في منطقه ، فخرج تحت إبطه خراج ، فأتيناه نسأله لنرى ما يقول فقلنا من أين خرج ؟ فقال : من باطن اليد .

ـ **وعن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال** : كنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : رجل لرجل : تحت إبطك ، فقال عمر : وما على أحدكم أن يتكلم بأجمل ما يقدر عليه ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : لو قال تحت يدك كان أجمل .

ـ **والباعث على الفحش** :

ـ إما قصد الإيذاء ، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم .

***

سباب المسلم

ـ عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ " [1] .

ـ " سِبَابُ " : مصدر سب ، وهو أبلغ من السب ، فإن السب شتم الإنسان والتكلم على عرضه بما يعيبه ، والسباب أن يقول فيه : بما فيه ، وما ليس فيه .

ـ و" فُسُوقٌ " أي : خروج عن طاعة الله ورسوله .

ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ " لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " الْمُسْتَبَّانِ [3] مَا قَالاَ [4] فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ

---

[1] رواه البخاري ومسلم .

[2] رواه البخاري .

[3] اللذان يظهران السب والشتم بالألفاظ الخشنة الوقحة .

[4] ما شرطية : أي إن قالا وتلفظا أحصى الذنب على المبتدئ المعتدي الظالم الفاحش حتى يتجاوز المظلوم عن الكظم والأدب فيسب ويجري التطاحن والسباب ، يريد ﷺ أن يبين أن ارتكان الذنب يقع على الشاتم مدة سكوت المشتوم وحفظ أدبه .

الْمَظْلُومُ " [1] .

ـ وقد وصف رسول الله ﷺ ذلك الذي يشتم هذا ، ويقذف هذا بأنه المفلس يوم القيامة من الحسنات ، فقد قَالَ ﷺ : " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ " قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ ، وَلاَ مَتَاعَ فَقَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ ، وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا ، وَصِيَامِهَا ، وَصَدَقَتِهَا ، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ، قَالَ : " هِيَ فِي النَّارِ " [3] .

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[3] رواه أحمد .

التسبب في سب

الوالدين

ـ من الكبائر أن يجلب الولد السبة لوالديه بتعديه على غيره بالسب أو الضرب ، أو القذف ، أو الغيبة ، ينصب الشيطان له شركا فيقع فيه ، فلا يجد لنفسه برداً ولا عزاء إلا الشتم فيشتم ويشتم .

ـ هذا الخلق السيء منتشر في مجتمعنا على أوسع مداه ، تنطلق ألسنتنا بسب الناس وآبائهم لأتفه الأمور ، ولو صدرت منهم هفوة بسيطة تمسحها كلمة (عفواً) أو ذنب صغير تمحوه كلمة اعتذار أو حجة مبرئة ، وكثيراً ما نعلم أطفالنا منذ الصغر سب الأب لنضحك من نطقهم الناعم .

ـ فاسمع أخي المسلم قول رسول الله ﷺ :

ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قَالَ : " نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ " [1] .

---

[1] رواه مسلم .

سب الأموات

ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا [1] إِلَى مَا قَدَّمُوا " [2] .

سب الدهر

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ " [3] .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ " [4] .

سب الريح

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ [5] ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ ، وَتَأْتِي

---

[1] أي : وصلوا . (إلى ما قدموا) من عمل فلا فائدة من سبهم .

[2] رواه البخاري .

[3] رواه مسلم .

[4] رواه البخاري ومسلم .

[5] من روح الله : أي رحمته بعباده .

بِالْعَذَابِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلاَ تَسُبُّوهَا ، وَسَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَاسْتَعِيذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا " [1] .

سب الحمى

ـ عَنْ جَابِرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ ، فَقَالَ : " مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ [2] " قَالَتِ : الْحُمَّى لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا ، فَقَالَ " لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ [3] خَبَثَ الْحَدِيدِ " [4] .

سب الديك

ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ " [5] .

---

[1] رواه أحمد .

[2] تزفزفين : أي تتحركين حركة سريعة ومعناه ترتعد .

[3] الكير : زق الحداد الذي ينفخ به . خبث الحديد : أي وسخه .

[4] رواه مسلم .

[5] رواه أبو داود بإسناد صحيح .

قذف المحصنات

الغافلات

ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ [١] الْمُحْصَنَاتِ [٢] الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [٣] .

ـ وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [٤] .

---

[١] يرمون : أي يقذفون ويسبون .

[٢] المحصنات : أي الأنفس العفيفة ، ليدخل فيها الذكور والإناث خلافاً لبعض فرق الخوارج الذين يرون أن حد القذف خاص برمي النساء دون الرجال وقوفاً عند ظاهر الآية .

[٣] سورة النور : آية : ٢٣ : ٢٥ .

[٤] سورة النور : آية : ٤ : ٥ .

ـ إذا تأمل العاقل هاتين الآيتين الواردتين في شأن القذف علم أن ذلك من الذنوب العظيمة والكبائر الجسيمة وإليك بيان ذلك :

١ـ قرر الله على الرامي ثمانين جلدة مما يشعرك أيها المسلم :

ـ أن الرامي بالزنا قريب من فعل الزنا ، لأن الزاني يجلد مائة وهذا يجلد ثمانين .

٢ـ لا تقبل للرامي شهادة أبداً .

٣ـ سجل الله عليه الفسق ، ومن سجل الله عليه الفسق فكيف يرجو الفلاح والسعادة فقد قال الله تعالى : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ** ﴾ [١] .

٤ـ قال الله تعالى : ﴿ **لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ [٢] .

ـ ومعنى اللعن : الطرد من رحمة الله ، فمن طرد من رحمة الله يكون كإبليس ، الذي قال الله فيه : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [٣] .

٥ـ توعده الله بالعذاب العظيم .

---

[١] سورة السجدة : آية : ١٨ .

[٢] سورة النور : آية : ٢٣ .

[٣] سورة ص : آية : ٧٨ .

٦ــ يفضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ، بأن يشهد عليه لسانه ، ويداه ، ورجلاه لما كان يعمل في دار الدنيا من المعاصي والآثام والموبقات ، ومن أعظمها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

٧ــ بعد تلك الشهادة يجازيه الله جزاء الحق ، بأن يعاقبه الله بنار جهنم ، عندئذ يعلم بأن الله هو الحق المبين الذي يجازي كل عامل بجزاء يناسب عمله .

ــ ولأجل ما في القذف من تلك النتائج الخطيرة ، والعواقب السيئة جاء الحديث الصحيح مصرحاً باجتنابه والابتعاد عنه ، كما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ " فذكر منها : " قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ " [1] .

ــ **والقذف** : هو الرمي بالفاحشة كأن يقول امرؤ لآخر : يا زاني أو يقول : أنه رآه يزني ، أو يأتي فاحشة كذا .... من زنا أو لواط .

---

[1] رواه البخاري ومسلم .

ـ **وجاء في كتاب الكبائر للذهبي** : القذف أن يقول : لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية ، أو يا باغية ، أو يا قحبة .

ـ **أو يقول لزوجها** : يا زوج القحبة .

ـ **أو يقول لولدها** : يا ولد الزانية ، أو يا ابن القحبة .

ـ **أو يقول لبنتها** : يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة .

فإن القحبة : عبارة عن الزانية .

ـ **فإذا قال ذلك أحد** : من رجل ، أو امرأة لرجل ، أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زاني .

ـ أو قال لصبي حر يا علق ، أو يا منكوح ، وجب عليه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم بينة بذلك .

ـ **والبينة كما قال الله تعالى** : أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة ، أو ذلك الرجل .

فإذا لم يقم بينة جُلد إذا طالبته بذلك التي قذفها ، أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه .

ـ وكذلك إذا قذف مملوكه ، أو جاريته ، بأن قال لمملوكه يا زاني ، أو لجاريته : يا زانية ، أو يا باغية أو يا قحبة ، لقوله

ﷺ : " مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ " [1] .

ـ وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا ، والآخرة ، ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قَالَ : " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " [2] .

وقانا الله شر ألسنتنا بمنه وكرمه [3] .

* * *

---

[1] رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] رواه البخاري ومسلم وتقدم ص : ٢٠ .

[3] انظر الكبائر للذهبي ص : ٩٢ .

الحلف بغير الله تعالى

ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " إِنَّ اللَّهَ تعالى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ " (١) .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " أَلاَ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلاَ يَحْلِفْ إِلاَّ بِاللَّهِ " (٢) .

ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا (٣) " (٤) .

ـ **دلت الأحاديث الشريفة** : على تحريم الحلف بغير الله تعالى كأن : يحلف بالرسول ، أو بالكعبة ، أو بالملائكة ، أو بالحياة أو بالروح ، أو بأبيه ، أو بجده ، أو بشرفه ، أو بنعمة السلطان

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) قال الخطابي : سببه أن اليمين لا تنعقد إلا بالله تعالى أو بصفاته ، وليست منها الأمانة ، إنما هي أمر من أمره ، وفرض من فروضه ، فنهوا عنه لما يوهمه الحلف بها من مساواتها لأسماء الله تعالى وصفاته .

(٤) رواه أبو داود بإسناد صحيح .

أو بتربة فلان ، أو بالأمانة وهي من أشدها نهياً ــ ونحو ذلك من الإيمان التي يحلف بها الجاهلون . وقد عد العلماء هذا اليمين من الكبائر المهلكة وشرك بالله .

ــ فعَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً يَحْلِفُ لاَ وَالْكَعْبَةِ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ " [1] .

ــ وقد انتشرت هذه العادة السخيفة بين الكثيرين من الناس حتى إن بعضهم لا يصدق إذا حلف له بالله ، ويذعن إذا حلف له بأولاده أو الرسول ، أو بالحسين ، أو بالولي ، ولعل هذه الأيمان الشركية تسربت إلى الناس من الاحتكاك والاختلاط بأهل البدع والضلال لأن الأكثرية الساحقة منهم يحلفون بالعباس ، وبالحسين ، وبعلي بن أبي طالب ، وأئمة أهل البيت ، فينبغي لأهل العلم نشر الوعي الصحيح والعقيدة الصحيحة بين الناس ومنها ــ التحذير عن هذه الأيمان الكفرية التي يجعلون بها المخلوق في صف الخالق من حيث التعظيم والإجلال .

ــ كما أن من البدع الضالة التي يقع فيها الكثيرون من الناس الحلف بالطلاق ، فتراه لأتفه الأسباب يحلف بالطلاق على زوجته

---

[1] رواه أحمد .

ـ كأن يقول : إن خرجت إلى بيت فلان فأنت طالقة ، أو يحلف على صديقه بطلاق زوجته أن يتغدى عنده ، أو ينزل عنده أو نحو ذلك من الأمور التي لا تستحق العناية بغير الحلف ، فضلاً عن الحلف بالطلاق ، فلا يفعل هذا إلا من سفه نفسه ، ورق دينه وأراد أن يحل عليه غضب الله تعالى وسخطه .

ـ **والخلاصة** ـ عملاً بقوله ـ ﷺ : " الدين النصيحة " [1] ننصح المسلمين أن يبتعدوا ويتجنبوا هذه الأيمان .

وليعلم الحالف بهذه الأيمان : أن الحلف بغير الله من كبائر الذنوب ويقع في الشرك والعياذ بالله .

الحلف بغير ملة الإسلام

ـ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ " [2] .

ـ وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ حَلَفَ فَقَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلاَمِ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلاَمِ سَالِمًا " [3] .

---

[1] رواه مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] رواه أبود داود والنسائي .

الحلف على البيع

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ [١] لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ [٢] " [٣] .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ " [٤] .

ـ وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ " [٥] .

ـ وَعَنْ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا [٦] " [٧] .

---

[١] أي : هي مظنة لنفاقها وموضع له . و (السلعة) : أي البضاعة .

[٢] أي : مذهبة للبركة والزيادة .

[٣] رواه البخاري .

[٤] رواه مسلم .

[٥] رواه مسلم .

[٦] أي : ذهبت ولم تحصلا إلا على التعب .

[٧] رواه البخاري ومسلم .

اللعن

ـ اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لاَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا " (١) .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا " (٢) .

ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣) " (٤) .

ـ وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ " (٥) .

---

(١) رواه الترمذى وحسنه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) والمعنى : أنهم لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا [1] رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا " [2] .

ـ وَعَنْ عِمْرَانَ ابْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : " خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ " قَالَ : عِمْرَانُ فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَضَايَقَ بِهِمُ الْجَبَلُ ، فَقَالَتْ حَلِ [4] اللَّهُمَّ الْعَنْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لاَ تُصَاحِبْنَا

---

[1] أي : مدخلاً وطريقاً .

[2] رواه أبو داود .

[3] رواه مسلم .

[4] هي كلمة لزجر الإبل .

نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ " [1] .

ـ **واللعن عبارة** : عن الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر ، والظلم ، فيجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك : لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين ، لعن الله أكل الربا ، لعن الله الواصلة ، والمستوصلة ، والواشمة ، والمستوشمة والنامصة ، والمتنمصة ، لعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال .

ـ **وأشار الغزالي رحمه الله** : إلى تحريم لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي : كيهودي ، ونصراني ، أو ظالم أوزان ، أو سارق ، أو أكل ربا ، إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب ، وأبى جهل ، وفرعون ، وهامان وأشباههم قال : لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله وما ندرى ما يختم به

---

[1] رواه مسلم .

لهذا الفاسق والكافر ، فربما يتوب الفاسق ، ويسلم الكافر ، فيموت مقرباً إلى الله ، فكيف يحكم بكونه ملعوناً ؟ [1] .

ـ وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة ، وإطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان .

ـ قال ابن عمر رضي الله عنهما : إن أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان .

ـ وقد تقدم في الحديث الصحيح قوله ﷺ :

" لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ " : فشبه النبي ﷺ لعن المسلم بقتله فكما أن قتله قطع أجله وحياته وصيره في حيز الأموات ، فكذلك لعنه حكم عليه بالموت المعنوي ، وهو الطرد والبعد عن رحمة الله ولا يطرد من رحمة الله إلا الكافرون ، والكفار أموات موتاً معنوياً إذ لو كانوا أحياء حياة صحيحة لآمنوا بالله وبرسوله ، لأن الإيمان بالله وبرسوله هو الحياة الصحيحة الكاملة ، بدليل قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا**

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي ص : ١٥٤ .

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [1] .

ـ وإضافة إلى تشبيه لعن المسلم بقتله نفي النبي ﷺ عن المؤمن أن يكون لعاناً ، ولا يكون اللعانون شفعاء لغيرهم ، ولا شهداء على الأمم الخالية يوم القيامة ، بل أبلغ من ذلك أن النبي ﷺ لم يرض عمن لعنت البهيمة ، فما بالك بمن لعن مسلم .

ـ ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشرّ ، حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً : لا صحح الله جسمه ، ولا سلمه الله ، فإن ذلك مذموم .

* * *

[1] سورة الأنفال : آية : ٢٤ .

التقعر في الكلام

ـ عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلاَثًا " [1] .

ـ **التنطع في الكلام** : التعميق فيه والتفاصح .

ـ وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ ، مَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ ، مَسَاوِيكُمْ أَخْلاَقًا الثَّرْثَارُونَ [2] الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ [3] " [4] .

ـ وعن مصعب بن سعد قال ، جاء عمر بن سعد إلى أبيه يسأله حاجة ، فتكلم بين حاجته بكلام فقال له سعد رضي الله عنه : ما كنت من حاجتك أبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول

---

[1] رواه مسلم .

[2] الثرثار : كثير الكلام تكلفاً .

[3] والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه . والمتفيهق : الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره .

[4] رواه أحمد .

" يَأْتِي النَّاسَ زَمَان يَتَخَلَّلُون فِيه الكَلَام بِأَلْسِنَتِهِم ، كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرُ الكَلأ بِأَلسِنَتِهَا " [1] .

ــ أي : يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته .

ــ والكلأ : المرعى وخص البقر ، لأنها تجمع النبات بلسانها وليس بأسنانها .

ــ وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام من المقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضاً من آفات اللسان ، ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة ، وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات ، فينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض ، وما وراء ذلك تصنع مذموم .

ــ ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة ، والتذكير من غير إفراط وإغراب ، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه ، فهو لائق به ، فأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات ، فلا يليق بها السجع والتشدق ، والاشتغال به من التكلف المذموم ، ولا باعث عليه إلا الرياء ، وإظهار الفصاحة ، والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ، ويزجر عنه .

---

[1] رواه أحمد وأبو داود .

المزاح

ـ وأصله مذموم منهي عنه ، إلا قدراً يسيراً يستثنى منه .

ـ **فإن قلت** : ففي المزاح مطايبة ، وفيه انبساط وطيب قلب ، فلم ينهى عنه ؟

ـ **فاعلم أن المنهي عنه** : الإفراط فيه ، أو المداومة عليه .

ـ أما المداومة ، فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه ، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة ، وأما الإفراط فيه ، فإنه يورث كثرة الضحك ، وكثرة الضحك تميت القلب ، وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار ، فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم كما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا ، قَالَ : " إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا " [1] .

ـ إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ، ولا يقول إلا حقاً ، وأما غيره إذا فتح باب المزاح ، كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان .

---

[1] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ـ وقد تقدم قوله ﷺ : " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا " [1] .

ـ وقوله ﷺ : " وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ ، وَيْلٌ لَهُ " [2] .

ـ **وقال عمر رضي الله عنه** : من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه .

ـ **وقال رضي الله عنه** : أتدرون لم سمى المزاح : مزاحاً ؟ قالوا : لا ، قال : لأنه أزاح صاحبه عن الحق .

ـ **فإن قلت** : قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف ينهى عنه ؟

ـ **فأقول** : إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ، ولا تؤذي قلباً ، ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الندور، فلا حرج عليك فيه ، ولكن من

---

[1] رواه أحمد وتقدم ص : ٢١ .

[2] رواه الترمذي وتقدم ص : ٨٢ .

الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ، ويفرط فيه ، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ فلا ينبغي أن يحتج بذلك من يريد المداومة عليه ، فإن حكم النادر ليس كحكم الدائم ، فالافراط في المزاح ، والمداومة عليه منهي عنه ، وأما اليسير من نحو نوع مزاح النبي ﷺ فإن فيه انبساطاً وطيب نفس [1] .

ـ بعض أمثله من مزاحه ﷺ :

ـ عَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُول لأَخِيه الصَغِيرِ : " يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ " [2] .

ـ " النُّغَيْرُ " : مصغر النُّغَر وهو طير كالعصافير حمر المناقير وقد فَرَّ من الصغير واحد منها فداعبه النبي ﷺ بقوله هذا .

ـ وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمِلْنِي ، فَقَالَ : " إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ " فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ ﷺ : " وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلاَّ النُّوقُ " [3] .

---

[1] إحياء علوم الدين للغزالي ص : ١٥٩ وما بعدها .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

المدح

ـ وله آفات منها ما يتعلق بالمادح ، ومنهـا ما يتعلق بالممدوح .

ـ **فأما ما يتعلق بالمادح منها :**

ـ **أولاً : أنه قد يُفرطُ** : فينتهي به إلى الكذب .

ـ **ثانياً : أنه قد يدخله الرياء** : فإنـه بالمـدح مُظهر للحب ، وقـد لا يكون مُضمراً له ، ولا معتقداً لجميع ما يقوله ، فيصير به مرائياً منافقاً .

ـ **ثالثاً : أنه قد يقول ما لا يتحققه** : ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه روي عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَدَحَ رَجُلٌ رَجُـلاً عِنْـدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ : " وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ ، قَطَعْتَ عُنُـقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا ، إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَـاحِبَهُ لاَ مَحَالَـةَ فَلْيَقُـلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ إِنْ كَـانَ يَعْلَمُ ذَاكَ كَذَا وَكَذَا " [1] .

---

[1] رواه مسلم .

ـ وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله إنه متق ، وورع ، وزاهد ، وغير ذلك .

ـ فأما إذا قال : رأيته يصلى بالليل ، ويتصدق ، ويحج فهذه أمور مستيقنة ، ومن ذلك قوله إنه عدل ، خير ، فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنة .

ـ سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثنى على رجل فقال : أسافرت معه ؟ قال : لا ، قال : أخالطته في المبايعة والمعاملة ؟ قال : لا قال : فأنت جاره صباحه ومساءه ؟ قال : لا ، فقال : والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه .

ـ رابعاً : أنه قد يُفرح الممدوح : وهو ظالم ، أو فاسق وذلك غير جائز .

ـ قال الحسن رضي الله عنه : من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله تعالى في أرضه .

والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ، ولا يمدح ليفرح .

ـ أما آفات الممدوح منها :

ـ أولاً : أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان .

ـ ثانياً : **هو أنه إذا أثنى عليه بالخير** : فـرح به وفتر ورضـى عن نفسه ، وقلّ تشميره للعمل .

ـ فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممـدوح ، لـم يكن به بأس ، فقد أثنى النبي ﷺ على أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم .

ـ وعلى الممدوح أن يكون شـديد الاحتـراز مـن آفـة الكبـر والعُجْب ، والفتور عن العمل ، ولا ينجو من هـذه الآفـات إلا أن يعرف نفسه ، ويتفكر في أن المادح ، لو عرف منـه مـا يعـرف من نفسه ما مدحه .

ـ **وكان علي رضي الله عنه إذا أثنى عليه يقول** : اللَّهُـمَّ اغْفِـر لِـي مَا لاَ يَعْلَمُونَ ، وَلاَ تُـؤَاخِذْنِي بِمَـا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي خيْراً مِمَّـا يَظُنُّونَ .

***

تعيير المسلم

ـ قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ "

قَالَ أَحْمَدُ : مِنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ " [2] .

ـ وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْهَدْ إِلَيَّ ، فذكر حديث ' ويلاً وقال في آخره : " وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ ، فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ " [3] .

* * *

---

[1] سورة الحجرات : آية : ١٠ .

[2] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

[3] رواه أبو داود .

الخبب

ـ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : " مَـنْ خَبَّبَ عَلَى امْرِئٍ زَوْجَتَهُ ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا " [1] .

ـ قوله ﷺ : " خَبَّبَ " : أي أفسد وخدع ، وأصـله مـن الخبـب وهو : الخداع والمكر والخبث .

ـ **والمعنى الوارد في الحديث** : ليس من أهل ديننا وملتنا : من أفسـد على امرئ زوجته ، أو مملوكه .

ـ فيحرم على الإنسان أن يحدث خادم غيره ، أو ابنـه ونحـوهم بما يفسدهم به عليه ، إذا لم يكن ما يحدثهم بـه أمـراً بمعـروف أو نهياً عن منكر .

ـ وكذلك يحرم إفساد المرأة على زوجها .

وذلك : كأن يزين شخص لها : رجلاً آخر ، أو يزين لهـا نفسـه ويغريها بالوعود ، والأماني حتى تعصي زوجها ، وتشاقق الزوج

---

[1] رواه أحمد بإسناد صحيح واللفظ له ، والبزار ، وابن حبان في صحيحه .

وتترفع عليه ، وتتهمه بتهم ملفقة ، وتخاصمه في المحاكم وتفضحه بين الملأ حتى يسأم من عشرتها ويفارقها بالطلاق ، وقد كثر هذا الفعل القبيح في هذا العصر المظلم ، المليء بالفجور والفسوق ، ومخالفة الله ورسوله ، فتجد كثيراً ممن قل حياؤه ونصيبه من الإيمان ، ونال حظاً وافراً من الجهل والطغيان يغري بعض النساء بجماله ، أو بماله ، فيقول بعضهم لامرأة متزوجة ، أو لأهلها إن كان فلان أعطاكم : يخاطب أهلها ــ عشرة آلاف ، فأنا أعطيكم عشرين ألفا ، أو ثلاثين ألفاً ، وأبني لها بيتاً أو أعطيها حلياً من الذهب كثيراً ، ونحو ذلك من الكلمات المعسولة فيوسوس تارة إليها ، وتارة إلى ولي أمرها ، أو يرسل سمساراً خبيثاً يوسوس لها ويعدها ويمنيها حتى يقع الشقاق ثم الفراق ، وكم لهذا العمل القبيح من نتائج وخيمة ومفاسد عظيمة منها .

١ــ وقوع الطلاق .

٢ــ ضياع الأولاد .

٣ــ وقيام سوق النزاع من جديد بين المطلق وزوجته حول الأولاد

المطلق يريد أولاده لديه ، وهي تريدهم لديها ، والعيال الصغار هم كبش الفداء ، وضحية هذا الشقاق والبلاء .

ومن تأمل هذه النتائج وغيرها ، عرف أن فاعل ذلك ظالم مجرم أتى كبيرة من الكبائر ، وأخرب بيتاً عامراً وجنى على الزجل وزوجته وأولاده ، وغرس شجاراً ونزاعاً مستمراً بين الزوج والزوجة ، وأقاربهما ، إن لم يكن أبداً فلابد أن يستديم زمناً طويلاً وهذه كلها مخالفات لله ولرسوله ، لأن الشريعة الإسلامية جاءت بالتوادد والتراحم والتعاطف بين المسلمين ، وحرمت القطيعة والتهاجر والنزاع والشقاق ، وهذا الظالم قد خالف الله ورسوله وأتبع هواه ونفسه الأمارة ، فإذا كانت هذه المفاسد وأضعافها تنتج من فعل هذا المجرم فلا عجب أن تبرأ رسول الله ﷺ منه ، كما لا عجب إذا قرب إبليس من أولاده من سعى بين الزوجين حتى فرق بينه وبينها ، ويقول : نعم أنت فيمدحه ويثني عليه .

فقد ورد في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ [1]

---

[1] سراياه : جنوده .

فَأَدْنَاهُمْ [1] مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً [2] يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ [3] وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ فَيَلْتَزِمُهُ [4] " [5] .

ـ ومثل ذلك الآثم من يأتي لمخطوبة أو لوليها ، فيوسوس إليها أو إليه ، ويملأهم بالوعود والكلمات المعسولة ، بأن سيعطيهم كذا وكذا حتى يتأثروا بكلامه ، أو وعوده والتزاماته ويردوا ذلك الخاطب .

أو يكون قد أعطاهم ذلك الخاطب مالاً أو حلياً ، فيردوا ماله أو حليه ، وهذا من الظلم ، وإيذاء المسلم ، وإلى ذلك الظالم هذين الحديثين الواردين عن النبي ﷺ :

ـ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لاَ يَبِعِ

---

[1] فأدناهم : فأقربهم درجة .

[2] فتنة : أي اغواء وافساد .

[3] فيدنيه منه : أي يقربه ، ويحظى به ويكرمه .

[4] فيلتزمه : أي يمدحه ويثني عليه .

[5] رواه مسلم .

الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ [1] وَلاَ يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلاَّ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ " [2] .

ـ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ ، فَلاَ يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلاَ يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ " [3] .

ـ فإذا كان البيع على البيع ، والشراء على الشراء ، والخطبة على الخطبة حراماً ، لأنه إيذاء ، ويورث النزاع والشجار بين المسلمين فمن باب أولى أن الافساد بين المرأة وزوجها يكون ذنباً كبيراً وإثماً عظيماً ، لا يشك في ذلك من يتصف بالعقل والحجى .

ـ ألا فليتق الله أولئك المخربون المفسدون بين الزوجين ، أو بين

---

[1] كأن يقول لمن اشترى سلعة ، أنت شريتها بعشرة ، وأنا أبيع عليك مثلها بثمانية أو بسبعة مثلاً ، حتى يرد السلعة لبائعها ، وهنا يقع النزاع والشجار ، وفيه من المفاسد ما لا يخفى ، ومثل ذلك الشراء على الشراء ، كأن يقول لصاحب سلعة : أنت بعت هذه السلعة بمائة جنية ، أنا اشتريتها منك بمائة وعشرين ، فعند ذلك إذا كان البائع قليل الإيمان بل وقليل الشرف فسرعان ما يتحيل على المشتري ويشاقق حتى يفسخ البيع ويبيع السلعة لمن أغراه .

[2] رواه مسلم .

[3] رواه مسلم .

الخاطب ومخطوبته ، أو بين الإنسان وخادمه ، أو ابنه ، أو بين البائع والمشتري ونحوهم .

وليعلموا أنهم ظلموا أنفسهم أولاً ، وظلموا الناس ثانياً ، وظلموا المجتمع ثالثاً .

وأنهم بذلك الفعل الشنيع يرثون المقت من الله ، ومن المجتمع فينظر إليهم بنظرة الازدراء والاحتقار ، ويسمهم بالفسق والفجور والخداع والتغرير ، وكل هذه الأمور من المحرمات ، ومن أنواع الظلم الذي لم يخف على كل ذوى العقل والحجى .

ـ وأني أذكرهم بقول الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [1] .

ـ وقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [2] .

---

[1] سورة البقرة : آية : ٢٧ .

[2] سورة الرعد : آية : ٢٥ .

المن بالعطية

ـ قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى** ﴾ [1] .

ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ مِرَارًا ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا ، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ " [2] .

ـ والمنان : هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به .

ـ وقد سمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر : أحسنت إليك ، وفعلت وفعلت .

فقال له ابن سيرين : أسكت فلا خير في المعروف إذا أحصى .

ـ فالمن بالمعروف أخي المسلم : يبطل الشكر ، ويحبط الأجر .

---

[1] سورة البقرة : آية : ٢٦٤ .

[2] رواه مسلم .

الفخر في الحسب

ـ قال تعالى : ﴿ فَلاَ تُزَكُّوا [1] أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾ [2] .

ـ وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [3] .

ـ وَعَنْ مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ ، وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ " [4] .

ـ وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَلاَ يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ " [5] .

---

[1] أي : لا تمدحوها .

[2] سورة النجم : آية : ٣٢ .

[3] سورة الحجرات : آية : ١٣ .

[4] رواه مسلم .

[5] رواه مسلم .

تناجي اثنين دون الثالث

ــ قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا النَّجْوَى مِنْ الشَّيْطَانِ** ﴾ [1] .

ــ وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ " [2] .

ــ التناجي : المحادثة سراً مع الحاضرين .

ــ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ الَّتِي بِالسُّوقِ فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ وَلَيْسَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْرِي ، وَغَيْرُ الرَّجُلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَجُلاً آخَرَ حَتَّى كُنَّا أَرْبَعَةً ، فَقَالَ لِي وَلِلرَّجُلِ الَّذِي دَعَاهُ اسْتَأْخِرَا شَيْئًا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " لاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ " [3] .

---

[1] سورة المجادلة : آية : ١٠ .

[2] رواه البخار ومسلم .

[3] رواه مالك في الموطأ .

ـ وَعَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ ذلِكَ يُحْزِنَهُ " [1] .

وصف محاسن المرأة لرجل

إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي

كنكاحها ونحوه

ـ عَنْ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لاَ تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا " [2] .

***

[1] رواه البخاري ومسلم .

[2] رواه البخاري وأحمد .

النياحة

والدعاء بالويل والثبور

ـ عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ ، وَضَرَبَ الْخُدُودَ ، وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ [1] " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجَعًا فَغُشِيَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِي حَجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : " بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ ، وَالْحَالِقَةِ ، وَالشَّاقَّةِ " [3] .

ـ " الصَّالِقَةِ " : التي ترفع صوتها بالنياحة والندب .

---

[1] ودعا بدعوة الجاهلية : نحو واجملاه واكهفاه .

[2] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

[3] رواه مسلم .

ـ " وَالْحَالِقَةِ " : التي تحلق رأسها عند المصيبة .

ـ " وَالشَّاقَّةِ " : التي تشق ثوبها .

ـ وَعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لاَ نَنُوحَ [1] .

ـ وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ تَبْكِي وَتَقُولُ : وَاجَبَلاَهْ وَا كَذَا ، وَا كَذَا ، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ : مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلاَّ قِيلَ لِي آنْتَ كَذَلِكَ [2] .

ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : اشْتَكَى [3] سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ [4] فَقَالَ : " أَقَدْ قَضَى " قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ

---

[1] رواه البخاري .

[2] رواه البخاري .

[3] أي : مرض مرضاً .

[4] وجده في غشية : هي المرة الأولى من الغشي .

وقوله ﷺ : " أقضى " أي : أمات ؟ .

اللَّهِ ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ ، فَلَمَّـا رَأَى الْقَـوْمُ بُكَـاءَ رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا ، فَقَـالَ : " أَلاَ تَسْـمَعُونَ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يُعَـذِّبُ بِـدَمْعِ الْعَيْنِ ، وَلاَ بِحُزْنِ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا " وَأَشَارَ إِلَـى لِسَـانِهِ " أَوْ يَرْحَمُ " [1] .

ـ وَعَنِ أَسِيدُ بْنُ أَبِي أَسِيدٍ : عَنِ امْرَأَةٍ مِنَ الْمُبَايِعَاتِ قَالَتْ : كَـانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَعْرُوفِ الَّذِي أَخَـذَ عَلَيْنَـا أَنْ لاَ نَعْصِيَهُ فِيهِ : أَنْ لاَ نَخْمُشَ وَجْهًا ، وَلاَ نَدْعُوَ وَيْـلاً ، وَلاَ نَشُـقَّ جَيْبًا ، وَأَنْ لاَ نَنْشُرَ شَعَرًا [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ : " مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ ، فَيَقُومُ بَاكِيـهِ فَيَقُـولُ : وَاجَـبَلاَهْ وَاسَيِّدَاهْ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، إِلاَّ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ [3] " [4] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ

---

[1] رواه البخاري ومسلم .

[2] رواه أبو داود بإسناد حسن .

[3] اللهز : الدفع بجميع اليد في الصدر .

[4] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

" اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ [1] وَالنِّيَاحَةُ [2] عَلَى الْمَيِّتِ " [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا ، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ [4] مِنْ قَطِرَانٍ [5] وَدِرْعٌ [6] مِنْ جَرَبٍ [7] " [8] .

***

---

[1] أي : كفر نعمة أو كفر ضد الإسلام إن استحلا .

[2] النياحة : هي رفع الصوت بالبكاء .

[3] رواه مسلم .

[4] السربال : القميص .

[5] القطران : قال ابن عباس هو النحاس المذاب .

[6] درع : مستعار من درع الحديد وهي معروفة .

[7] من جرب : بفتح الجيم والراء : داء معروف .

[8] رواه مسلم .

ألفاظ يكره استعمالها

ـ من الألفاظ التي يكره استعمالها ما يلي :

قول : ما شاء الله وشاء

فلان

ـ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لاَ تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَشَاءَ فُلاَنٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ " [1] .

ـ قال الخطابي :

أرشدهم رسول الله ﷺ على تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه .

ـ وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل : أعوذ بالله وبك ، ويجوز

---

[1] رواه أبو داود بإسناد صحيح .

أن يقول : أعوذ بالله ثم بك ، وأن يقول : لولا الله ثم فلان ولا يقول : لولا الله وفلان .

قول : اللهم اغفر لي إن شئت

بل يجزم بالطلب

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ " [1] .

ـ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ ، وَلاَ يَقُولَنَّ : اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ " [2] .

* * *

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه البخاري ومسلم .

قول : لو أني فعلت كذا

لكان كذا وكذا

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا ، لكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ " [1] .

قول : مطرنا بنوء كذا وكذا

ـ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ [2] كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : " هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي

---

[1] رواه مسلم .

[2] إثر سماء : يعني المطر .

كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِنَوْءِ [1] كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ " [2] .

قول : المسلم للمسلم يا كافر

ـ عَنْ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ " [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ [4] " [5] .

---

[1] قال العلماء : إن قال مسلم : مطرنا بنوء كذا مريداً أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر ، صار كافراً مرتداً بلا شك ، وإن قاله مريداً أنه علامة لنزول المطر فينزل المطر عند هذه العلامة ، ونزوله بفعل الله تعالى وخلقه سبحانه لم يكفر ، واختلفوا في كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار ، وهذا ظاهر الحديث ، ونص عليه الشافعي رحمه الله في الأم وغيره ، والله أعلم .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] رواه مسلم .

[4] حار : أي رجع .

[5] رواه مسلم .

قول : عبدي وأمتي

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي وَأَمَتِي ، كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ : غُلاَمِي وَجَارِيَتِي ، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي " [1] .

قول : ربي لسيده

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ " لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : اسْقِ رَبَّكَ ، أَطْعِمْ رَبَّكَ ، وَضِّئْ رَبَّكَ ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : رَبِّي ، وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي ، مَوْلاَيَ ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : عَبْدِي أَمَتِي ، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ فَتَاتِي ، غُلاَمِي " [2] .

قول : يا سيد للمنافق

ـ عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ : سَيِّدَنَا ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدَكُمْ ، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ " [3] .

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه مسلم .

[3] رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد .

ـ اعلم أن السيد يطلق على الذي يفوق قومه ، ويرتفع قدره عليهم ويطلق على الزعيم والفاضل ، ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضبه ، ويطلق على الكريم وعلى الزوج ، وقد جاءت أحاديث كثيرة بإطلاق سيد على أهل الفضل .

ـ فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن النبي ﷺ صَعِد بَالْحَسَن بْن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المنبر فَقَالَ : " إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ تعالى أَنْ يُصلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " (١) .

ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قَالَ لِلأَنْصَارِ لما أقبل سعد بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ " (٢) .

ـ **والخلاصة** : أنه لا بأس بإطلاق على فلان : سيد ، ويا سيدي وشبه ذلك ، إذا كان المسوَّد فاضلاً خيراً : إما بعلم ، وإما بصلاح وإما بغير ذلك .

ـ وإن كان فاسقاً ، أو متهماً في دينه ، أو نحو ذلك ، كره أن يقال له : سيد .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري .

قول : شاهنشاه للسلطان

ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " إِنَّ أَخْنَعَ [1] اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ " [2] .

ــ وفي رواية : " أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ ، لاَ مَلِكَ إِلاَّ اللَّهُ " [3] .

ــ وجاء في الصحيح عن سُفْيَانُ بن عيينة قَالَ : مَلِكَ الأَمْلاَكِ مِثْلُ : شاهنشاه .

ــ فيحرم تحريماً غليظاً أن يقول للسلطان ، وغيره من الخلق شاهنشاه .... لأن معناه ملك الملوك ، ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى .

قول : هلك الناس

ــ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ " [4] .

---

[1] أخنع : أوضع وأذل وأرذل .

[2] رواه البخاري ومسلم .

[3] رواه مسلم .

[4] رواه مسلم .

ـ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ : لاَ أَدْرِي أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ ، أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ .

ـ قال الحميدي : والأشهر الرفع : أي أشدهم هلاكاً ، قال : وذلك إذا قال ذلك على سبيل الإزراء عليهم ، والاحتقار لهم ، وتفضيل نفسه عليهم ، لأنه لا يدري سر الله تعالى في خلقه .

ـ وقال الخطابي : معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ، ويذكر مساويهم ، ويقول : فسد الناس ، وهلكوا ونحو ذلك ، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم : أي أسوأ حالاً فيما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم ، وربما أتاه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أن له فضلاً عليهم ، وأنه خير منهم فيهلك [1] .

قول : خبثت نفسي

ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسِي ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسِي " [2] .

ـ قال العلماء : (معنى خَبُثَتْ : غَثِيتْ) وهو معنى لقست ، ولكن كره لفظ الخبث .

---

[1] الأذكار للنووي ص : ٥٠٤ .

[2] رواه البخاري .

قول : تعس الشيطان

ـ عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَجُلٍ قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ ، فَقُلْتُ : تَعِسَ الشَّيْطَانُ فَقَالَ : " لاَ تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ ، تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ بِقُوَّتِي ، وَلَكِنْ قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ [1] " [2] .

تسمية العنب : كرماً

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ " [3] .

ـ وفي رواية : " لاَ تَقُولُوا كَرْمٌ فَإِنَّ الْكَرْمَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ " [4] .

---

[1] إن الشيطان يتعاظم لأنه يكون قد أصاب من المؤمن شيئاً ، إذ غفل المؤمن عن ذكر الله ، ومن ذلك ما يفرح الشيطان ، ثم إن الشيطان يتعاظم حينما يرى ابن آدم يدعو عليه بالتعاسة فلا يهمه ذلك ، فهل دعوة الإنسان على الشيطان بالتعاسة أشد من لعنة الله للشيطان ؟ ولكن إذا ذكر المؤمن اسم الله ، فإن الشيطان يتضاءل ولا يجد له سبيلاً على هذا الذاكر والله أعلم .

[2] رواه أبو داود .

[3] رواه مسلم .

[4] رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ـ وَعَنْ وَائِلِ بنِ حُجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ " لاَ تَقُولُوا الْكَرْمُ ، وَلَكِنْ قُولُوا : الْعِنَبُ وَالْحَبَلَةُ " [1] .

قول : بالرفاء والبنين للمتزوج

ـ عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي جُشَمَ ، فَقَالُوا : بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ ، فَقَالَ : لاَ تَقُولُوا هَكَذَا وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ ، وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ " [2] .

ـ وَفِي رواية : لاَ تَقُولُوا ذَلِكَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَانَا عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ : " بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ " [3] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَّأَ [4] الإِنْسَانَ أي : إِذَا تَزَوَّجَ ، قَالَ : " بَارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ " [5] .

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه ابن ماجة .

[3] رواه الدارمي .

[4] رفأ : مأخوذ من رفا الثوب ورفوته رفوا ، والرفاء : الإلتئام والاتفاق ، فهو دعاء للمتزوج بأن يحصل الإلتئام والاتفاق بينهما .

[5] رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ـ **ومن الألفاظ المذمومة المستعملة في العادة** : قوله لمن يخاصمه يا حمار ، يا تيس ، يا كلب : فهذا قبيح لوجهين :

ـ **أحدهما** : أنه كذب .

ـ **والآخر** : أنه إيذاء .

ـ قال إبراهيم : إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير ، قيل له يوم القيامة ، حماراً رأيتني خلقته ! خنزيراً رأيتني خلقته ؟

ـ **قول : ما كان معي خلق إلا الله .**

ـ قال النحاس : كره بعض العلماء أن يقال : ما كان معي خلق إلا الله .

ـ قلت : سبب الكراهة بشاعة اللفظ من حيث أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلاً ، وهو هنا محال ، وإنما المراد هنا الاستثناء المنقطع ، تقديره ولكن كان الله معي ، مأخوذ من قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [1] .

ـ وينبغي أن يقال بدل هذا : ما كان معي أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

ـ قال : وكره أن يقال : اجلس على اسم الله ، وليقل : اجلس باسم الله [2] .

---

[1] سورة الحديد : آية : ٤ .

[2] الأذكار للنووي : ص : ٥١٥ .

ـ **ويكره للإنسان إذا ابتلى بمعصية أو نحوها أن يخبر غيره بذلك** : بل ينبغي أن يتوب إلى الله تعالى فيقلع عنها في الحال ، ويندم على ما فعل ، ويعزم أن لا يعود إلى مثلها أبداً .

ـ فهذه الثلاثة هي أركان التوبة لا تصح إلا باجتماعها ، فإن أخبر بمعصيته شيخه ، أو شبهه ممن يرجو بإخباره أن يعلمه مخرجاً من معصيته ، أو ليعلمه ما يسلم به من الوقوع في مثلها ، أو يعرفه السبب الذي أوقعه فيها ، أو يدعو له أو نحو ذلك فلا بأس به ، بل هو حسن ، وإنما يكره إذا انتفت هذه المصلحة .

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ : يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ " [1] .

ـ **ينبغي أن يقال في المال المخرج في طاعة الله تعالى : أنفقت وشبهه** فيقال : أنفقت في حجتي ألفاً ، وأنفقت في غزوتي ألفين ، وكذا أنفقت في ضيافة ضيفاني ، وفي نكاحي ، وشبه ذلك .

---

[1] رواه البخاري .

ـ ولا يقول ما يقولون كثيرون من العوام : غرمت في ضيافتي وخسرت في حجتي ، وضيعت في سفري ، وحاصله أن أنفقت وشبهه يكون في الطاعات .

وخسرت ، وغرمت ، وضيعت ، ونحوها يكون في المعاصي والمكروهات ، ولا تستعمل في الطاعات .

ـ **ومما يتأكد النهي عنه والتحذير منه** : ما يقوله العوام وأشباههم في هذه المكوس التي تؤخذ ممّن يبيع أو يشتري ونحوهما ، فإنهم يقولون : هذا حق السلطان ، أو عليك حق السلطان ، ونحو ذلك من العبارات المشتملة على تسميته حقاً أو لازماً ونحو ذلك وهذا من أشدّ المنكرات وأشنع المستحدثات .

ـ والصواب أن يقال فيه المكس ، أو ضريبة السلطان ، أو نحو ذلك من العبارات .

ـ **ومن أقبح الألفاظ المذمومة** ، ما يعتاده كثيرون من الناس إذا أراد أن يحلف على شيء فيتورع عن قوله : والله ، كراهية الحنث أو إجلالاً الله تعالى وتصوناً عن الحلف .

ثم يقول : الله يعلم ما كان كذا ، أو لقد كان كذا ونحوه .

وهذه العبارة فيها خطر ، فإن كان صاحبها متيقناً أن الأمر كما قال فلا بأس بها .

ـ وإن كان تشكك في ذلك فهو من أقبح القبائح لأنه تعرض للكذب على الله تعالى ، فإنه أخبر أن الله تعالى يعلم شيئاً لا يتيقن كيف هو .

وفيه حقيقة أخرى أقبح من هذا ، وهو أنه تعرض لوصف الله تعالى بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو ، وذلك لو تحقق كان كفراً فينبغي للإنسان اجتناب هذه العبارة .

ـ ومما يتأكد النهي عنه قول : تعال أقامرك .

ـ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ : وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى ، فَلْيَقُلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ : تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ " [1] .

ـ فهذا كفارة لأن النبي ﷺ قال : " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ " [2] . وكفارة الشرك التوحيد وهو كلمة : لا إله إلا الله ومن قال : تعال أقامرك فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل ، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار وهو إخراج المال بحق في مواضعه وهو الصدقة .

---

[1] رواه البخارى ومسلم وأبو داود .

[2] رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ـ من تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان ، علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم ، لأن هذه الآفات كلها مهالك ، فإن سكت سلم من الكل ، وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه ، إلا أن يأمر بصدقة أو معروف ، أو يصلح بين الناس ، أو يذكر الله تعالى .

ـ قال تعالى : ﴿ **لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [1] .

ـ أي : لا خير ولا نفع في كثير من النَّجْوى : السر بين الاثنين أو الجماعة إذا تحدَّثوا به ، إلا في أمور ثلاثة : الأمر بأداء الصدقة أو عمل المعروف : وهو يشمل جميع أنواع البر : كإنقاذ ملهوف ، ونهي عن منكر ، أو الإصلاح بين الناس ، في الدماء والأعراض ، والأموال ، ومختلف الخصومات ، ومن يفعل هذه الأمور بقصد إرضاء الله ، لا لغرض دنيوي فسوف نعطيه ثواباً عظيماً واسعاً .

---

[1] سورة النساء : آية : ١١٤ .

ـ وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " كُلُّ كَلاَمِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لاَ لَهُ ، إِلاَّ أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ أَوْ ذِكْرُ اللَّهِ " [1] .

ـ فلا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، فإن من عرف قدر زمانه وأنه رأس ماله ، لم ينفقه إلا في فائدة .

فلو تكلمت فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ، ولا على مسلم أصلاً ، إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ، ولا حاجة بك إليه فإنك مضيع به زمانك ، ومحاسب على عمل لسانك ، بصرفه إلى الهذيان ، وقلما سلم من الخروج إلى الإثم .

فاشغل لسانك يا أخي بذكر الله ، واشتري بكل نفس من أنفاسك جوهرة ثمينة ، ففيه العلاج لجميع آفات اللسان ، وأجر بغير حساب .

ـ وسوف أسرد لك بعض من فضائل ذكر الله تعالى حتى تعرف مدى الأجر العظيم ، والثواب الجزيل ، الذي ستحصل عليه عندما تذكر الله تعالى ، وحتى لا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير

---

[1] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

فكم من كلمة يا أخي يبنى بها بيتاً في الجنة ، ويغرس بها غرساً في الجنة ، ويُغفر بها الذنوب .

ـ ألا تحب أن يغفر الله لك ؟

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ [1] " [2] .

ـ فكم تأخذ من وقتك ثلاث دقائق ؟

ففي ثلاث دقائق غُفرت لك ذنوبك ولو كانت مثل زبد البحر .

ومن فاز بالمغفرة يا أخي فأي خير لم يحصل له ، وأي شر لم يندفع عنه ، والله لقد فاز بالخير كله فمن غُفرت ذنوبه وجبت له الجنة وذلك هو الفوز العظيم .

ـ فما بالك لو قلتها ألف ، أو ألفين ، أو أكثر ، فمغفرة بعد مغفرة وأجر بغير حساب .

---

[1] الزبد : الرغوة فوق الماء . وهو كناية عن الكثرة .

[2] رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة .

ـ ألا تحب أن تفوز بمحبة الله تعالى ؟

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ " [1] .

ـ ألا تحب أن يغرس لك الغراس في الجنة ؟

ـ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا ، فَقَالَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا الَّذِي تَغْرِسُ " قُلْتُ : غِرَاسًا لِي ، قَالَ : " أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا " قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : " قُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلٍّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ " [3] .

---

[1] رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة .

[2] رواه البزار بإسناد جيد .

[3] رواه ابن ماجة بإسناد حسن والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ـ وما أدراك يا أخي ما شجر الجنة فقد قَالَ ﷺ عنه : " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُود ﴾ [1] " [2] .

ـ ألا تحب أن يبنى لك القصور في الجنة ؟

ـ فعَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَنْ قَرَأَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ " [3] .

ـ ألا تحب أن يحرم الله تعالى عليك النار ؟

ـ فعَنْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ " [4] .

ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاَثِمِائَةِ مَفْصِلٍ فَمَنْ كَبَّرَ

---

[1] سورة الواقعة : آية : ٣٠ .

[2] رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[3] رواه أحمد .

[4] رواه مسلم .

اللَّهَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ، وَهَلَّلَ اللَّهَ ، وَسَبَّحَ اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاَثِمِائَةِ السُّلاَمَى فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ " [1] .

ـ ألا تحب أن تفوز بالجنة ؟

ـ فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ [2] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " [3] .

---

[1] رواه مسلم .

[2] أي : أعترف .

[3] رواه البخاري .

ـ ألا تحب أن تثقل ميزان حسناتك ؟

ـ فعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ " فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قَالَ " يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ " [1] ..... فكم تأخذ من وقتك ؟

ـ دقيقتين أو ثلاث ، فإذا كنت في دقيقتين أو ثلاث ، أخذت ألف حسنة ، أو حُط عنك ألف خطيئة ، وكما ذكرنا يغرس لك بكل تسبيحة شجرة في الجنة ، وأيضاً يبنى لك فيها الدور فطالما أنت تذكر الله تبني الملائكة لك الدور في الجنة ، فعَنْ حكيم بن محمد الأخنسي قال : بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك عن الذكر ، أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم : لما ، فيقولون : حتى تأتينا نفقة [2] .

وغير ذلك الكثير والكثير من عطاء الله الواسع الذي ليس له حدود فما بالك لو قلتها ألف ، أو مائة ألف ، أو أكثر فما شئت من أجر بغير حساب .

---

[1] رواه مسلم .

[2] رواه ابن أبي الدنيا .

ـ وَعَنْ أَبِي سَلَّمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " بَخٍ بَخٍ [1] لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ [2] " [3] .

ـ ألا تحب أن تكون من أفضل الناس عملاً ؟

ـ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا [4] مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ ، إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ " [5] .

ـ ولتعلم أيضاً : أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً لله عز وجل فأفضل المجاهدين أكثرهم ذكراً لله عز وجل ، وأفضل

---

[1] **بخ بخ** : هي كلمة تقال عند إرادة المبالغة في الشيء وقد تقال عند الرضا بالشيء .

[2] فيحتسبه : أي يحتسب الأجر فيه .

[3] رواه النسائي والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

[4] أي : حصن .

[5] رواه البخاري ومسلم .

المصلين أكثرهم ذكراً لله عز وجل ، وأفضل الصائمين أكثرهم ذكراً لله عز وجل ، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكراً لله عز وجل وهكذا في سائر الأحوال في الطريق ، وفي البيت ، في أي مكان كائناً ما كان الأفضل هو من يذكر الله تعالى .

ـ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَهُ فَقَالَ : أَيُّ الْجِهَادِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : " أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا " قَالَ : فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قَالَ : " أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا " ثُمَّ ذَكَرَ لَنَا الصَّلاَةَ وَالزَّكَاةَ ، وَالْحَجَّ ، وَالصَّدَقَةَ ، كُلُّ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا " فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : يَا أَبَا حَفْصٍ ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيْرٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَجَلْ " [1] .

ـ فما المانع أثناء ذهابك إلى عملك تذكر الله ، ما المانع أثناء ركوبك وسائل المواصلات تذكر الله ، ما المانع وأنت تسير في الطريق تذكر الله ، ما المانع وأنت تجلس مع أصحابك تذكر الله ما المانع وأنت تجلس في بيتك تذكر الله .

---

[1] رواه أحمد والطبراني .

ـ ويزداد أجرك ويعظم إذا ذكرت الله تعالى في مواطن الغفلة والأسواق : فقد قال تعالى : ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيَجْزِيَهُمْ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [1] .

ـ وكان بعض السلف يقصد السوق ليذكر الله فيها بين أهل الغفلة والتقى رجلان منهم في السوق فقال أحدهما لصاحبه : تعال حتى نذكر الله في غفلة الناس ، فخلوا في موضع فذكرا الله ثم تفرقا ثم مات أحدهما فلقيه الآخر في منامه ، فقال له : أشعرت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق ؟

ـ ألا تحب أن تقرأ ثلث القرآن في وقت قصير ؟

ـ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " قَالُوا : وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : " ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً

---

[1] سورة النور : آية : ٣٧ : ٣٨ .

[2] رواه مسلم .

يَقْرَأُ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا [1] ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " [2] .

ـ ألا تحب أن تحصل على كنز من كنوز الجنة ؟

ـ فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ : " قُلْ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ [3] مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ " [4] .

ـ ألا تحب أن تفوز بحسنات بغير حساب في دقائق معدودة ؟

ـ فعَنْ جُوَيْرِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا [5] ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ ، فَقَالَ : " مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا " قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ

---

[1] يتقالها : أي يعدها قليلة في العمل .

[2] رواه البخاري .

[3] قال الخطابي : معنى الكنز : الأجر الذي يحرزه قائله والثواب الذي يدخر له فيه .

[4] رواه البخاري ومسلم .

[5] في مسجدها : في مصلاها في بيتها .

ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْـذُ الْيَوْمِ ، لَوَزَنَتْهُنَّ [1] : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ : عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِـهِ ، وَمِـدَادَ كَلِمَاتِهِ " [2] .

ـ ألا تحب أن يصلي عليك الله تعالى ؟

ـ فعَنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا " [3] .

ـ **والصلاة من الله** : تعني العفو والرحمـة ، والمغفـرة ، ورفـع الدرجات .

ـ وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : أَصْبَحَ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِـي وَجْهِـكَ الْبِشْـرُ ، قَـالَ " أَجَلْ أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلاَةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا [4] " [5] .

---

[1] وزنتهن : ساوتهن في الأجر والثواب .

[2] رواه مسلم .

[3] رواه مسلم .

[4] ورد عليه مثلها : أي صلى عليه كما صلى على نبيه .

[5] رواه أحمد .

ـ ألا تحب أن تفوز بشفاعة النبي ﷺ ، وتكون من أقرب الناس مجلساً منه يوم القيامة ؟

ـ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ [1] أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً " [2] .

ـ وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً ، وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [3] .

ـ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : " إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ " [4] .

فلو لم يكن في الصلاة على النبي ﷺ ثواب سوى أنه يرجى بذلك شفاعته لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنها ، فكيف وفيها مغفرة الذنوب وفيها الصلاة من الله تعالى .

---

[1] أي : أحقهم بشفاعته وأقربهم مجلساً منه .

[2] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

[3] رواه الطبراني في الكبير ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

[4] رواه مسلم .

ـ ألا تحب أن تفوز بالتفرد والسبق ؟

ـ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ ، فَقَالَ : " سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ " قَالُوا : وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : " الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ " (١) .

ـ وقال عمرو مولى غفرة : إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر ، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أيسر علينا من الذكر .

ـ فعمال الآخرة كلهم في مضمار السباق والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار : لأن الله تعالى اختصهم بالتفرد والسبق وذلك هو الفوز العظيم .

ـ ألا تحب أن تكثر ممن يشهدون لك يوم القيامة ؟

ـ فاعلم أن في دوام الذكر في الطريق ، والبيت ، والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة ، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** (١) **وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا** (٢) **وَقَالَ**

---

(١) رواه مسلم .

الإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ [١] .

ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴾ قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا ، تَقُولُ : عَمِلَ يَوْمَ كَذَا ، كَذَا وَكَذَا " [٢] .

والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده ، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة ، يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم .

ـ ولتعلم أن الجبال والأرض تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله تعالى عليها :

ـ قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الجبل لينادي الجبل باسمه أمر بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فإذا قال : نعم ، استبشر .

ـ وقال عون بن عبد الله : إن البقاع لينادي بعضها بعضاً يا جارتاه أمر بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة : نعم ، وقائلة : لا .

---

[١] سورة الزلزلة : آية : ١ : ٥ .

[٢] رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

ـ ألا تحب أن تحصن نفسك من الشيطان وتطرده ؟

ـ فاعلم أخي المسلم أن ذكر الله هو حصنك الحصين من الشيطان الرجيم وذلك لقوله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا " فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى أَنَّ قَالَ : " وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا ، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لاَ يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلاَّ بِذِكْرِ اللَّهِ " [1] .

ـ فالعبد لا يحرز نفسه من الشيطان عدوه اللدود الذي يريد أن يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى إلا بذكر الله ، ولا يدخل عليه إلا من باب الغفلة ، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه وإذا ذكر الله تعالى انخنس وتصاغر وانقمع ، ولهذا سمي " الوسواس الخناس " .

ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله تعالى خنس .

---

[1] رواه الترمذي وصححه عن الحارث الأشعري رضي الله عنه .

ـ ألا تحب أن يمنحك الله حياة الروح والقلب ؟

ـ فقد قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [1] . والحياة هنا بالذكر واتباع القرآن .

ـ وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " [2] .

ـ فشبه النبي ﷺ الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة ، وغير الذاكر بالميت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل ، وذلك دليل على أن الذكر هو شريان الحياة الروحية لذلك من لم يوفق له ، أو لم يثابر عليه ، فاقداً لسر الحياة ، فكأنه جسد بلا روح ، وفي هذا الأسلوب من الحث على الذكر والمداومة عليه ما فيه كفاية لمن علم وفهم ، لأنه لا يريد أحد أن يعيش حياة جوفاء فيفقد سر وجوده ، ولهذا كان المثابرون على ذكر الله تعالى أدري الناس بسر الذكر .

ـ **قال ابن تيمية رحمه الله** : الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

---

[1] سورة الأنفال : آية : ٢٤ .

[2] رواه البخاري .

ـ حتى إن البيت يتأثر ويحيى بحسب ذكر الله تعالى فيه فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ " [1] .

ـ وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال : إن البيت الذي يذكر فيه اسم الله تعالى يضئ لأهل السماء كما يضئ المصباح لأهل البيت المظلم ، وإن البيت الذي لا يذكر فيه اسم الله تعالى يظلم على أهله .

ـ ألا تحب أن يعينك الله تعالى على طاعته ؟

ـ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ [2] قَالَ : " لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ " [3] .

ـ فدله ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام ، وتسهل به عليه وهو ذكر الله عز وجل .

ـ فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره يقوده ذلك إلى فعل كل عمل

---

[1] رواه مسلم .

[2] أتشبث به : أي أتمسك به .

[3] رواه الترمذي .

صالح ، ولا يستعظم شيئاً فيه قربة لله مهما كان .

ـ فذكر الله يا أخي من أكبر العون على طاعته ، فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل .

ـ **قال رجل للحسن البصري رحمه الله** : يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبِ ، قال : أذبه بالذكر .

وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار ، فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل .

ـ ألا تحب أن يصبح الصعب سهل ؟

ـ فعليك بذكر الله ، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ، ولا مشقة إلا خفت ، ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت ، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر ، والفرج بعد الغم والهم .

ـ ألا تحب أن تزيل عن قلبك الهم والحزن ؟

ـ فقد قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [1] .

ـ أي : تأنس به ويحصل لهم به الفرح والسرور ولا يجدون معه وحشة ولا انزعاجاً ولا يأساً في هذه الحياة ، كالذي يجده الغافل عن ذكر الله . فليس هناك أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس بذكر الله تعالى .

فقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [2] .

ـ فإخواننا الذين يعانون من أمراض نفسية نقول لهم : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ، والرجال الذين يعانون من مشاكل المعيشة وضيق العيش : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ، والشباب الذين يعانون من مشاكل في حياتهم : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ ، والمرأة التي تعاني من مشاكل في بيتها أو مع زوجها : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ .

---

[1] سورة الرعد : آية : ٢٨ .

[2] سورة طه : آية : ١٢٤ .

ـ ألا تحب أن يفرج الله تعالى كربك ؟

ـ فلقد حكى القرآن الكريم عن سيدنا يونس عليه السلام لما ضاق بقومه وتركهم مغاضباً وركب السفينة إلى أن التقمه الحوت ، ما الذي نجاه من الهلاك ! لقد نادى على الله مستغفراً قائلاً : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ فقدر الله له النجاة ، فقال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

ـ فلولا الاستغفار والتسبيح ، ما كشف الله عن سيدنا يونس عليه السلام عذاب السجن في بطن الحوت ، فقال سبحانه : ﴿ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [2] .

ـ وروي عن جعفر بن محمد قال : عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول : ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ لأن الله تعالى يقول : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

---

[1] سورة الأنبياء : آية : ٨٧ : ٨٨ .

[2] سورة الصافات : آية : ١٤٣ : ١٤٤ .

ـ ألا تحب أن تفوز بالمغفرة ، وأن تحصل على رزق حلال بغير حساب ؟

ـ فقد قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** (١٠) **يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا** (١١) **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ [١] .

ـ فالآيات الكريمات تشير إلى أن للاستغفار ثمرات مترتبة عليه هائلة ونفيسة فثمرة الاستغفار كما تشير إليه الآيات :

١ـ المغفرة .

٢ـ والغيث : المطر الذي يروي الأرض فينبت الزرع ويروي به الناس والأنعام ظمأهم .

٣ـ وإمداد الله المستغفر بالأموال .

٤ـ وإمداد الله المستغفر بالبنين .

ـ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ " [٢] .

---

[١] سورة نوح : آية ١٠ : ١٢ .

[٢] رواه أبو داود والنسائي وابن حبان وصححه .

ـ وقال ابن صبيح رضي الله عنه : شكا رجل إلى الحسن رضي الله عنه الجدوبه فقال : استغفر الله ، وشكا آخر إليه الفقر فقال له : استغفر الله ، وقال له آخر ادع الله أن يرزقني ولداً فقال : استغفر الله ، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال : استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال : ما قلت من عندي شيئاً إن الله تعالى يقول : ﴿ **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** (١٠) **يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا** (١١) **وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا** ﴾ .

ـ ولقد حدث أن أحد الأثرياء الصالحين لم يجد سبيلاً في فترة من الفترات لري أرضه وكاد الزرع يصبح حطاماً ، فجلس وسط مزرعته الفسيحة وقال : اللهم إنك قلت ، وقولك الحق ... اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ... وها أنا ذا يا رب أستغفرك راجياً أن تفيض علينا من رحمتك ثم أخذ في الاستغفار... ومضت ساعات وهو يتابع الاستغفار في همة وفي ثقة بموعود الله تعالى وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم ... وإذا بالمطر ينزل فياضاً مدراراً .

ـ فالاستغفار إذاً سبب سعادة الحال في هذه الحياة الدنيا لأن الله تعالى وعد المستغفرين بصلاح أحوالهم في الدنيا وذلك بالأمن والعيش الرغيد ، والحصول على الأموال ، والأولاد ، والمتاع الحسن ، وسبب السعادة في الآخرة لأن المستغفرين يفوزون بمغفرة الله تعالى وجنته .

ـ **وبعد الذي ذكرناه في فضل ذكر الله تعالى أيوجد يا أخي أفضل وأعظم منه** : لا والله لا يوجد أعظم منه ، فلا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير واشتري بكل نفس من أنفاسك نعيماً لا ينقضي لابداً الآباد ، النعيم المقيم ، والخلود في جنات النعيم ، واغتنم أوقاتك ولا تضيعها .

أما علمت أن أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ويؤذن لهم أن يقولوا مرة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أو يؤذن لهم بتسبيحة واحدة ، فلا يؤذن لهم ، فيتعجبون من الأحياء أنهم يضيعون أيامهم في الغفلة ، يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليشتغلوا بالعمل الصالح ولو أن يوماً من عمرك بيع لهم بالدنيا وما فيها لاشتروه ، لو قدروا عليه ليستدركوا ما فرط منهم ؟! أنت في أمنيتهم فاعمل .

فاحسب أنك قد توفيت ثم رددت ، فإياك أن تضيع هذا اليوم

واعلم أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وأن العبد ينشر لـه بكل يوم أربع وعشرون خزانة مصفوفة ، فيفتح له منهـا خزانـة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملهـا فـي تلـك السـاعة فيحصل له من السرور بمشاهدة تلك الأنوار ما لو وزع على أهـل النار لأدهشتهم عن الإحساس بألم النار ، ويفـتح لـه خـزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح ريحها ويغشاه ظلامها ، وهي السـاعة التي عصى الله تعالى فيهـا فيحصل له من الفزع والخزي ما لـو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمهم ، ويفتح له خزانة أخـرى فارغة ليس فيها ما يسؤوه ولا يسره ، وهي الساعة التي نام فيهـا أو غفل أو اشتغل بشيء من المباح ، ويتحسر على خلوها وينالـه ما نال القادر على الربح الكثير إذا أهمله حتى وفاته ، وعلى هـذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره ، فاجتهد يا أخي أن تعمـر خزائنك ولا تدعها فارغة ، وأفضـل شيء تُملأ بـه هـو ذكـر الله تعالى .

ـ **وقد قال بعض السلف** : يعرض علـى ابـن آدم يـوم القيامـة ساعات عمره فكل ساعة لـم يـذكر الله فيهـا ، تتقطع نفسه عليها حسرات .

ـ **ولتعلم أخي** : أن من أراد أن يفوز الفوز العظيم : ذكر الله تعالى له ومحبته فليلهج بذكره .

ـ فقد قال عز وجل : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [1] .

ولو لم يكن في فضل الذكر إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً ، لأن ذكر الله للعبد يعني إثابته ، والثناء عليه ، وإظهار الرضى عنه ، والإكرام له ، والقرب منه ، وثبوت منزلته عنده سبحانه ، كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي [2] وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً [3] " [4] .

---

[1] سورة البقرة : آية : ١٥٢ .

[2] أي : إن ظن أن الله يقبل دعاءه وهو يدعوه قبله ، ومن استغفره وظن أن الله يغفر له غفر له وهكذا .

[3] أي أنه كلما زاد إقبال العبد على ربه كان الله له بكل خير أسرع .

[4] رواه البخاري .

ـ **وقال موسى عليه السلام** : يـا رب أي عبـادك أحـب إليـك ؟ قال : أكثرهم لي ذكراً .

ـ **وقال الحسن رضي الله عنه** : أحب عبـاد الله إلـى الله أكثـرهم له ذكراً .

ـ **وروي في الخبر أن موسى عليه السلام قال** : يا رب كيف لـي أن أعلم مـن أحببت ممن أبغضت ؟ قال : يا موسى إني إذا أحببـت عبـداً ، جعلت فيـه علامتيـن ، قال : يا رب وما هما ؟ قـال ألهمه ذكري لكي أذكره في ملكوت السموات والأرض ، وأعصمه عن محارمي وسخطي كي لا يحل عليه عذابي ونقمتي ، يا موسى إني إذا أبغضت عبداً جعلت فيه علامتين ، قـال : يـا رب ومـا هما ؟ قال : أنسيه ذكري ، وأخلي بينه وبين نفسه لكي يقـع فـي محارمي بسخطي ، فيحل عليه عذابي ونقمتي .

ـ ولعظم فضل الذكر وكبير أجره عند الله ، فقد نادى سبحانه علينا بقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا** ﴾ [1] .

ـ وأخبر أنه أكبر من كل شيء فقال سبحانـه وتعالى : ﴿ **وَلَذِكْـرُ**

---

[1] سورة الأحزاب : آية : ٤١ .

اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [1] .

ـ واعلم أن جميع الأعمال : إنما شرعت إقامة لـذكر الله تعـالى والمقصود بها تحصيل ذكر الله ، فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِمْ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ [2] .

ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ لإِقَامَةِ ذِكْرِ اللَّهِ " [3] .

ـ وقد جعله الله تعالى قرين الأعمال الصالحة وروحهـا ، فمتـى عدمته كانت كالجسد بلا روح .

ـ فقد قرنه بالصلاة :

ـ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًـا وَقُعُـودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ [4] .

ـ وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِـيَتْ الصَّـلاَةُ فَانتَشِـرُوا فِـي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [5] .

---

[1] سورة العنكبوت : آية : ٤٥ .

[2] سورة طه : آية : ١٤ .

[3] رواه الترمذي وأبو داود .

[4] سورة النساء : آية : ١٠٣ .

[5] سورة الجمعة : آية : ١٠ .

ـ وقرنه بالصيام :

ـ فقال تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] .

ـ وقرنه بالحج :

ـ فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [2] .

ـ وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند مكافحة الأعداء :

ـ فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

ـ وجعل الله تعالى من غايات بعث النبي محمد ﷺ إلى المؤمنين بعد الإيمان بالله ورسوله ، وتعظيم الله وتبجيله : تسبيح الله وتنزيهه كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [4] .

---

[1] سورة البقرة : آية : ١٨٥ .

[2] سورة البقرة : آية : ٢٠٠ .

[3] سورة الأنفال : آية : ٤٥ .

[4] سورة الفتح : آية : ٨ : ٩ .

ـ وكذلك نرى سيدنا موسى عليه السلام : يدعو الله تعالى بقوله : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [١] .

فهو عليه السلام يبين أن غاية بعثته هي ذكر الله كثيراً .

ـ ولهذه الأهمية الكبيرة للذكر ، ولعظم أجره ، فقد وعد الله تعالى من أكثر من ذكره : بمغفرته وجنته ، فقال تعالى :

﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٢] .

ـ كما وعد سبحانه بالصلاة على الذاكر وملائكته ، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز .

ـ قال رجل لأبي أمامة :

رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك : كلما دخلت ، وكلما خرجت ، وكلما قمت ، وكلما جلست ، فقال أبو أمامة ، وأنتم لو

---

[١] سورة طه : آية : ٢٩ : ٣٤ .

[٢] سورة الأحزاب : آية : ٣٥ .

شئتم صلت عليكم الملائكة ثم قرأ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ ﴾[1] .

ـ ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فأي خير لم يحصل له وأي شر لم يندفع عنه . والله لقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز .

ـ فلا تحرم نفسك من ذكر الله تعالى طرفة عين ، واذكره ذكراً كثيراً قائماً ، وقاعداً ، ومضطجعاً ، بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة والسر والعلانية ، وعلى كل حال .

وهو متيسر لكل أحد لأن أنواعه كثيرة فمهما فتر الإنسان من ذكر عدل إلى ذكر آخر ، وإذا لم يحفظ ذكراً فهو يحفظ آخر ، فتلاوة القرآن ذكر ، والدعاء ذكر ، والاستغفار ذكر والتسبيح ، والتحميد ، والتهليل ، والتكبير ، والصلاة على النبي ﷺ كل ذلك من الذكر .

---

[1] سورة الأحزاب : آية : ٤١ : ٤٣ .

ـ فاشغل لسانك يا أخي بذكر الله تعالى : فهو العلاج لجميع آفات اللسان :

فإن في الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل : من الغيبة والنميمة ، والكذب ، والفحش ، واللغو وغير ذلك ، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره ، تكلم بهذه المحرمات ، أو بعضها ، فإن اللسان لا يسكت البتة : فإما لسان ذاكر ، وإما لسان لاغ ، ولابد من أحدهما .

ـ وقد جاء رجل إلى الفضيل بن عياض رضي الله عنه فقال له : أوصني بشيء ، فقال : اذكر الله كثيراً حيثما كنت حتى تكون محصناً من جميع السيئات .

ـ وذكر عن إبراهيم بن أدهم : أنه رأى رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا ، فوقف عليه ، وقال : أهذا كلام ترجو فيه الثواب ؟ فقال الرجل : لا ، قال : أفتأمن فيه العقاب ؟ قال : لا ، قال : فما نصنع بكلام لا نرجو فيه ثواباً ، ولا نأمن عليه عقاباً : عليك بذكر الله تعالى .

ـ والخلاصة يا أخي :

ـ أن من عود لسانه على ذكر الله تعالى صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ، والعياذ بالله .

ـ فأيهما أحب إليك :

ـ **أن تشغل لسانك بذكر الله تعالى** : وستصونه بذلك عن كل ما يغضب ربك .

وسيكون جزاءك الجزاء الأوفى : مغفرة الله تعالى ، وجنته ، فقد قَالَ ﷺ : " مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ (أي اللسان) أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ " [1] .

ـ **أما تشغل لسانك** : بالغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش واللغو ، وغير ذلك من آفات اللسان .

ومن كان هذا شغله يا أخي : فسيحل عليه غضب الله تعالى وسخطه .

وسيكون جزاءه نار جهنم ، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : " وَهَلْ

---

[1] رواه البخاري وتقدم ص : ٧ .

يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ " [1] .

ـ فأيهما أحب إليك ؟

فاختر لنفسك

* * *

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله ، وصحبه أجمعين ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

---

[1] رواه أحمد والترمذي وتقدم ص : ٦ .

الفهارس

الموضوع	الصفحة
ـ المقدمة	٣
ـ خطر اللسان وفضيلة الصمت	٥
ـ الآفة الأولى : الكلام فيما لا يعنيك	١٢
ـ الآفة الثانية : فضول الكلام	١٧
ـ الآفة الثالثة : الخوض في الباطل	١٩
ـ الآفة الرابعة : الغيبة	
ـ معنى الغيبة	٢٢
ـ تحريم الغيبة	٢٧
ـ تحريم سماع الغيبة	٣٢
ـ أمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها	٣٤
ـ تحريم الغيبة بالقلب	٣٦
ـ الأسباب الباعثة على الغيبة	٤٠
ـ علاج الغيبة	٤٥
ـ ما يباح من الغيبة	٥٢
ـ كفارة الغيبة	٥٦

ـ الآفة الخامسة : النميمة

ـ معنى النميمة ٦٠

ـ الباعث على النميمة ٦١

ـ تحريم النميمة ٦٤

ـ الآفة السادسة : الكذب على الله تعالى

أو على رسوله ﷺ ٧٠

ـ الآفة السابعة : الكذب على الناس ٧٢

ـ ما رخص فيه من الكذب ٧٧

ـ الآفة الثامنة : الكذب في المنام ٨٠

ـ الآفة التاسعة : الحديث الذي يُضحك

به الناس فيكذب ٨٢

ـ الآفة العاشرة : اليمين الكاذب ٨٣

ـ الآفة الحادية عشرة : ذو اللسانين وذو الوجهين ٨٧

ـ الآفة الثانية عشرة : نقض العهد ٨٨

ـ الآفة الثالثة عشرة : شهادة الزور ٩٣

ـ الآفة الرابعة عشرة : إفشاء السر ٩٩

ـ الآفة الخامسة عشرة : السخرية والاستهزاء ١٠٢

ـ الآفة الثانية عشرة : المراء والجدال	١٠٦
ـ الآفة الثالثة عشرة : المخاصمة	١٠٩
ـ الآفة الرابعة عشرة : الفحش وبذاءة اللسان	١١٢
ـ الآفة الخامسة عشرة : سباب المسلم	١١٥
ـ التسبب في سب الوالدين	١١٧
ـ سب الأموات	١١٨
ـ سب الدهر	١١٨
ـ سب الريح	١١٨
ـ سب الحمى	١١٩
ـ سب الديك	١١٩
ـ الآفة السادسة عشرة : قذف المحصنات الغافلات	١٢٠
ـ الآفة السابعة عشرة : الحلف بغير الله تعالى	١٢٥
ـ الحلف بغير ملة الإسلام	١٢٧
ـ الحلف على البيع	١٢٨
ـ الآفة الثامنة عشرة : اللعن	١٢٩
ـ الآفة التاسعة عشرة : التقعر في الكلام	١٣٤
ـ الآفة العشرون : المزاح	١٣٦

ـ الآفة الخامسة والعشرون : المدح ١٣٩

ـ الآفة السادسة والعشرون : تعيير المسلم ١٤٢

ـ الآفة السابعة والعشرون : الخبب ١٤٣

ـ الآفة الثامنة والعشرون : المن بالعطية ١٤٩

ـ الآفة التاسعة والعشرون : الفخر في الحسب ١٥٠

ـ الآفة الثلاثون : تناجي اثنين دون الثالث ١٥١

ـ وصف محاسن المرأة لرجل

إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض

شرعي كنكاحها ونحوه ١٥٢

ـ الآفة الحادية والثلاثون : النياحة

والدعاء بالويل والثبور ١٥٣

ـ الآفة الثانية والثلاثون : الفاظ يكره استعمالها ١٥٧

ـ تعليق : في كيفية التحصن

من آفات اللسان ١٧١

ـ الفهارس ٢٠٥

* * *